الفصل الأول

كنت أنتظر أن أكون «البيه النيابة» فوجدت نفسى «البيه الإذاعة» !! ..

عندما تخرجت فى كلية الحقوق بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية – جامعة الإسكندرية الآن – سنة ١٩٤٩؛ لم يكن يخطر بذهنى أو يدور بخاطرى لحظة واحدة أن أصبح واحدا من أبناء الإعلام المسموع مذيعا بالإذاعة المصرية.. فقد كان هم أسرتى الأول والأخير أن أكون وكيلاً للنائب العام، وما التحقت بكلية الحقوق إلا من أجل أن أصبح (بيه نيابة) مثل بيه النيابة الذى كانت ترتج له قريتى فى أقصى صعيد مصر عندما يدخلها ليحقق فى حادثة جنائية؛ فقد كنت مبهورا بذلك البيه الذى يقف له الناس احتراماً، وفى مقدمتهم أبى عمدة القرية، عندما ينزل من السيارة الفورد القديمة ذات الرفارف على جانبيها والتى يقف عليها بقية الوفد المرافق له من ضباط المركز وعساكره، وكيف كان الجميع يضربون «التعظيم سلام» له وهو يترجل من السيارة ويسيرون خلفه وهو فى طريقه لمعاينة موقع الحادث.. وظل هذا المشهد محفوراً فى ذاكرتى منذ طفولتى إلى أن تخرجت فى الجامعة..

«دشنا» فى الثلاثينيات..

وبالمناسبة؛ كانت طفولتى شاقة للغاية وعانيت كثيراً من الجهد وأنا أمضى سنواتها متلقياً تعليمى الابتدائى فى (مدرسة دشنا الابتدائية)، و (دشنا) هى عاصمة المركز الذى تتبعه قريتى.. كانت مدينة دشنا فى تلك الأيام من النصف الثانى من ثلاثينيات القرن الماضى لا تعدو أن تكون مجرد قرية كبيرة وليس فيها من مظاهر المدينة إلا مبنى مركز البوليس والمستشفى العمومى ومحطة القطار ومبنى المحكمة وغير ذلك من مبانى المؤسسات الحكومية، أما ما دون ذلك من منازل فهى تماماً مثل منازل قريتى بشوارعها وحاراتها الضيقة ولم تكن بها كهرباء أو مياه تجرى فى المواسير والحنفيات.. وكانت مدينة دشنا تقع إلى الجنوب من قريتى بمسافة تصل إلى نحو عشرين كيلو متراً، وكانت على الضفة الشرقية للنيل وقريتى على الضفة الغربية، وأيامها لم تكن هناك طرق معبدة أو وسائل انتقال كالأتوبيسات وغيرها؛ بل كانت وسيلة الاتصال والمواصلات الوحيدة بين قريتى وعاصمة المركز تتمثل فى مركب نيلية يطلق عليه الناس اسم (الرفاص)، ولعل السبب فى التسمية أن آلاته الميكانيكية كانت تدار بالبخار، وكانت قوة البخار تدفع الآلة فى الماء وكأنها ترفصه فيتحرك الرفاص شاقاً عباب مياه النيل من قرية إلى أخرى حتى يصل إلى (دشنا) قاطعاً مسافة عشرين كيلومتراً فى نحو الساعة ونصف الساعة..

وكانت المشقة التى أعانيها وأنا بعد طفل صغير تتمثل أيضاً فى اغترابى عن أسرتى لمدة ستة أيام كل أسبوع، حيث أغادر القرية فى رفاص الصباح يوم السبت فى الطريق إلى (دشنا) ولا أعود إلى القرية إلا مساء الخميس عندما يعود الرفاص فى رحلة العودة.. وهذه الأيام الستة كنت أعانى فيها الأمرين أنا وثلاثة من أبناء عمومتى، نعيش فى بيت عتيق مع أسرة صاحبه، حيث كنا أشبه بالأمانة التى أوكلها والدى لصاحب البيت لكى يرعانا ويسهر على راحتنا ويعطى تقريراً أسبوعياً عن أحوالنا المدرسية وساعات المذاكرة التى نستوعب فيها ما تلقيناه من الدروس فى المدرسة.. ولن أنسى ما حييت تلك الدموع التى كانت تطفر من عين والدتى وهى تودعنى صباح السبت ألماً على فراقى، ثم دموع الفرحة والسعادة التى كانت تنسكب من عينيها عند اللقاء مساء الخميس عائداً من (دشنا).. وعندما أتذكر الآن تلك الأيام فإننى أحمد الله عليها فقد عودتنى على مشقة تحمل العبء وشدت عودى وأنا بعد غض صغير وجعلتنى أتحمل المسئولية مهما كان ثقلها، فأنا مازلت حتى الآن أرتب ملابسى بنفسى وأضع حللى فى المشجب مرتبة حسب الأيام التى أرتديها فيها، وأقوم بترتيب أحذيتى ولا أتورع أحياناً عن تنظيفها وتلميعها على رغم الاعتراض الذى تبديه زوجتى ومن يساعدونها فى المنزل..

ترك المدرسة..

وعلى مدى أربع سنوات هى سنوات المرحلة الابتدائية مارست حياة شاقة حتى إننى كنت أتوق إلى ترك الدراسة والبقاء فى قريتى مع أترابى، ولكن والدى – يرحمه الله – كان شديد الرغبة فى أن يعلمنى مهما كانت المشقات، فكان يعنفنى بشدة عندما كنت أبدى رغبتى فى أن أساعده فى زراعته، بل إن الأمر بلغ حداً جعلنى أوقن أنه لا فكاك لى من مواصلة التعليم، وكم أنا شاكر الآن لوالدى الذى أدعو له ليل نهار بالرحمة والمثوبة..

كانت فرحة غامرة لى ولأسرتى وأبناء عمومتى عندما حصلت على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٤٠، وأذكر كيف انطلقت الزغاريد فى المنزل عندما جاء الخبر بنجاحى، خاصة أنه كانت هناك مشقة عاتية فى وصول خبر حصولى على الشهادة الابتدائية حين كانت وسائل الاتصال معدومة تقريباً، فليس هناك إلا تليفون نقطة الشرطة وهو التليفون الذى يظل العامل الذى يعمل عليه يردد كلمة : «آلو يا مركز» عشرات المرات قبل أن يرد عليه عامل تليفون المركز، وعندما أحس والدى أن نتيجة الشهادة الابتدائية على وشك أن تعلن اتجه إلى نقطة الشرطة وطلب من عامل التليفون أن يتصل بمركز (دشنا)، وكانت صلة والدى طيبة بـ (البيه المأمور)، وبعد جهد تم الاتصال بينهما ورجاه والدى أن يتفضل مشكوراً بإرسال من يسأل عن النتيجة، وطمأنه (البيه المأمور) بأنه سيتخذ اللازم..

وظللت جالساً مع أبى وهو يتسامر مع (حضرة الصول) الذى كان رئيساً لنقطة الشرطة قرابة الساعة، حيث كانت أعصابى مشتعلة طوال هذه المدة والقلق يأخذنى من كل جانب؛ وفجأة دق تليفون النقطة ليأتى الخبر السار بنجاحى.. أذكر أن والدى منح عامل التليفون جنيهاً كاملاً، وكان للجنيه فى تلك

الأيام قيمة عظيمة لا تقل عن عدة مئات من جنيهات هذه الأيام، وكان من مراسم الفرحة التى عمت أسرتى أن جاء رجال (الحضرة) وأقاموا (ليلة ذكر) فى الدوار شكراً للمولى عز وجل، وتناول الجميع (الفته) واللحم ..

نقلة حضارية ..

وعندما التحقت بمدرسة قنا الثانوية كان الالتحاق يمثل نقلة حضارية باذخة، فـ (قنا) مدينة عامرة بها الكهرباء وبها وابور المياه الذى يمد المنازل بالمياه الصالحة للشرب وبها شوارع فسيحة ومقاهى يديرها أصحابها من الخواجات اليونانيين، وبها مدرسة ثانوية فاخرة بنتها الدولة هى وسبع مدارس أخرى فى سبع عواصم من المدن فى الصعيد والوجه البحرى وجميعها نسق واحد، مدرسة زاخرة بالملاعب والمعامل وبها مسرح كبير به بيانو لمن يريد أن يتعلم العزف الموسيقى من الطلاب.. لكن الشىء الوحيد الذى بهرنى هو (سينما قنا).. فقد كان فى قنا دار للسينما قلبت كيانى وجعلتنى فى حالة انبهار كامل بما تقدمه شاشتها من أفلام سينمائية خاصة حلقات الرجل الشجيع الذى يهزم الجميع بقبضته، بالإضافة إلى أفلام عبد الوهاب وأم كلثوم وحسين صدقى وأنور وجدى ويوسف وهبى وغيرهم من نجوم سينما الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى..

وأقر أننى كنت أذهب كل ليلة إلى السينما، كنت أشاهد العرض خمس مرات على الأقل أسبوعياً، خاصة أن المسافة بين قريتى ومدينة قنا كانت كبيرة ولم تكن هناك سبل للمواصلات تيسر لى السفر إلى قريتى أسبوعياً، ولذلك لم أكن أعود إلى قريتى إلا فى الإجازات الخاصة بالأعياد فقط، فأصرف همى إلى السينما أنسى فى عروضها قريتى وأهلى الذين كان يأخذنى الحنين إليهم كل مأخذ..

وكنت فى قنا أعيش فى حجرة فى أحد فنادق المدينة، وعهد والدى إلى صاحب الفندق الإشراف علىّ ورعاية شئونى، ومنها بالطبع بل وعلى رأسها تأتى شئونى الدراسية.. ولاحظ الرجل أننى أخرج من الفندق قبل الساعة السادسة ولا أعود إلا بعد التاسعة، وعرف أننى دائم الذهاب إلى دار السينما، وانتهز فرصة مجىء والدى إلى قنا فأخبره بأننى لا أستذكر دروسى، وأن ذلك هو السبب فى تأخر ترتيبى فى امتحان الفترة.. وهنا نظر إلىّ والدى نظرة حادة عرفت منها أن عقابى سيكون شديداً إذا لم التزم جادة الصواب فى دراستى.. ومنذ ذلك الحين انضبطت أمورى وجاء ترتيبى متقدماً فى امتحان آخر فترة فى السنة الأولى الثانوية التى اجتزتها بنجاح إلى السنة الثانية..

قنا زمان والآن ..

ما أبعد الفرق بين مدينة قنا اليوم وبين ما كانت عليه المدينة عندما دخلتها لأول مرة بداية من النصف الأول من أربعينيات القرن الماضى، بل إن مدينة قنا ظلت كما كانت عليه حالها منذ دخلتها إلى أن قيض المولى عز وجل لها محافظاً شديد العزم صادق النية قوى العزيمة، فغير حالها إلى ما أصبحت

عليه الآن من وجاهة ونظافة وتألق، حتى إن الجميع شهدوا بأنها تضارع الآن المدن الأوروبية، بل ويمكن أن تتفوق عليها نظاماً وتنظيماً وانضباطاً..

كانت قنا المدينة سنة ١٩٤٠ بداية التحاقى بمدرستها الثانوية، ليس فيها إلا شارعان رئيسيان: (شارع الجميل) الذى يبدأ من محطة السكة الحديد وينتهى عند المدرسة الثانوية، و (شارع البحر) الذى يتعامد على شارع الجميل عند منتصفه تقريباً وينتهى إلى شاطئ النيل فى الضفة الشرقية.. (شارع الجميل) كان الشارع التجارى الذى توجد به المقاهى واللوكاندات فئة النجمة الواحدة تقريباً ودار السينما وبعض المطاعم الشعبية، أما (شارع البحر) فهو شارع نظيف ليس به إلا سرايات الموسرين من أبناء المدينة، وعلى رأسهم بالطبع فيللات «آل عبيد» الذى منهم الزعيم «مكرم عبيد».. وكان شارع البحر به منتزه اسمه (منتزه الفدان) لأن مساحته كانت – كما يقولون – فداناً واحداً؛ هو شارع الفسحة والتنزه خاصة فى عصارى صيف قنا الذى يبدأ عقب شهر فبراير مخالفا لكل ما نعرفه وتعلمناه عن بداية فصل الصيف جغرافياً – وينتهى تقريبا مع بدايات شهر نوفمبر..

وعلى مدى هذه الشهور الثمانية من أوائل مارس إلى أوائل نوفمبر فإن جو قنا كما يقولون هو نار الله الموقدة، وكان هذا الشارع وخصوصاً (منتزه الفدان) مجالاً لنا نحن طلاب المرحلة الثانوية لنستذكر دروسنا، حيث نجلس على المقاعد الخشبية فى المنتزه مستغرقين فى المذاكرة، أما ما دون ذلك فالمدينة تبدو وكأنها مازالت تعيش فى الماضى، فالشوارع ضيقة والـ (قيساريات) المسقوفة تزخر أرصفة حارتها بما يعرضه أصحاب المحلات التجارية من بضائع مختلفة الأشكال والألوان، فهذا تاجر النحاس وذاك تاجر الخردوات، وهكذا.. كانت الشوارع ضيقة وبالطبع ليست مرصوفة، وكان مواطنو قنا يتميزون بالطيبة والكرم.. وظلت المدينة على هذا الحال، وكنت فى كل مرة أزور المدينة على مدى نصف قرن تقريباً من مغادرتى لها بعد حصولى على شهادة التوجيهية سنة ١٩٤٥؛ أجد الحال على ما هو عليه، اللهم إلا بعض البنايات الجديدة للمصالح الحكومية التى انشئت عقب أن جرفت السيول المدينة سنة ١٩٥٤..

وكنت أتساءل بينى وبين نفسى قائلاً: متى تصبح قنا مدينة مرغوبة!؟، ومتى لا يحس من ينتقل إليها من موظفى الدولة بأنه منفى!؟.. ومتى يكون لسان حاله مرحباً – بحق وحقيق – بالنقل إلى قنا، كما جاء على لسان الشاعر «حفنى ناصف»، عندما قال منذ قرن من الزمان قصيدته التى ما زالت ترددها الألسنة والتى من أبياتها البيت الشهير:

قالوا نقلت إلى قنا.. يا مرحبا بقنا وإسنا

إلى آخر القصيدة التى أعتقد أن الشاعر عندما أرهص بها وجدانه فإنه لم يقلها عن قناعة بالنقل إلى قنا بقدر ما قالها ليخرج بها لسانه لمن نقلوه إلى ذلك المكان السحيق.. إلى أن جاء «عادل لبيب» محافظاً لقنا فتفتق ذهنه عن ثورة إصلاحية عارمة نقلت قنا من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى

حاضر مزهر جميل: الشـوارع متسـعة ومرصوفة، النظافة على أشدها، الزهور تملأ الميادين، النافورات ترطب من حرارة الجو، كورنيش بديع على شـاطئ النيل، مقاهٍ ومقاصف جميلة نظيفة، المرور منضبط ولا تدخل عربات الكارو الشوارع، الحارات الضيقة مرصوفة بالكامل، ميدان سيّدى عبدالرحيم القنائى والمسجد تحفة للناظرين، إن ما فعله «عادل لبيب» فى قنا وبعض مدن المحافظة جدير بأن يدرّس فى بقية المحافظات ليقتدى به الجميع، ويكون نبراساً يهتدون به ويعملون على شاكلته..

ملعب الكرة ..

أمضيت فى مدينة قنا سـنوات رحلة التعليم الثانوى، وكانت خمس سـنوات رائعة.. كانت المدرسة تزخر بنشاط رياضى وفنى بالإضافة إلى نشاط الكشافة، وكان المجتمع القنوى يجد فى المدرسة وأنشطتها المتعـددة مجـالا للترويـح، خاصة يوم أن يلتقى فريق كـرة القدم مع فرق كرة القـدم الإنجليزية.. فقد كانت الصحراء الشـرقية من حدود قنا وحتى الغردقة والقصير تعج بمعسكرات الجيش البريطانى، فقد كانت الحرب العالمية الثانية على أشـدها، وكان الإمداد الحربى وغيره من الإمدادات يأتى إلى القوات الإنجليزية فى مصر عامة من أقطار الهند وأستراليا ودول جنوب شرق آسيا التى يسيطر عليها الاستعمار ومنها ينتقل شمالاً على خطوط السكك الحديدية إلى القاهرة.. كانت جماهير قنا تأتى بعد ظهر الجمعة من كل أسبوع إلى ملعب الكرة بمدرسة قنا الثانوية لتشهد لقاءً أسبوعياً بين فريق المدرسة وفريق من فرق الجيش الإنجليزى، وكانت الفرحة تبدو غامرة وقوية عندما يقذف الكابتن «العديسـى» بالكرة لتسكن شباك الفريق الإنجليزى، فقد كان الهدف الذى يدخل شباك الإنجليز بمثابة متنفس لما فى الصدور من كره للمحتل الذى كثيراً ما كانت عساكره تعيث فسادا فى الشوارع عقب خروجهم سكارى مخمورين من بارات وخمارات اليونانيين، ولا أنسى اللحظات التى كان فريق الكرة بالمدرسة يرد الزيارة فى الأسبوع التالى ليلعب فى ملعب معسكر من المعسكرات الإنجليزية..

كانت سـيارات الجيش الإنجليزى تقف أمام المدرسـة فتمتلئ بنا نحن الطلبة المشـجعين لفريقنا، وتذهب بنا السـيارات إلى أحد المعسـكرات القريبة من قنا فى الصحراء الشـرقية، وفى ميس المعسـكر كانوا يقدمون لنا قطع الشـيكولاتة وعلب البسـكويت، ثم تبدأ المباراة فى الحادية عشرة صباحاً، وكان الملعب يغص ويعج بعساكر الجيش يشاهدون المباراة التى ما أن تنتهى حتى تعود بنا السيارات إلى قلب المدينة.. وكانت أمسيات مدرسة قنا الثانوية المسرحية مجالاً آخر للترفيه عن المجتمع القنوى..

مفتش التمثيل ..

كان المرحـوم «عثمان أباظة» مفتشـاً للتمثيـل فى وزارة المعارف، وكان يحضر إلى مدرسـتنا ليخرج المسرحية التى يقدمها الطلاب، ويمضى فى قنا قرابة أسبوع يشرف على عملية الإخراج وتلقين الطلبة أصول التمثيل، وكنت واحداً من أفراد الفريق وقدمنا (مجنون ليلى) للشـاعر «أحمد شـوقى» أكثر من

مـرة.. وأذكـر أننى عندما أصبحت مذيعـا بالإذاعة كان «عثمان أباظة» واحـداً من ألمع نجوم الإخراج الإذاعى مع المرحومين «السـيد بدير» و «محمود السـباع» و «محمد توفيق»، بالإضافة إلى ذلك كان يقدم برنامـج (ركـن الريف)، وقد ذكرته بنفسـى فتذكرنى – يرحمه الله – على الفور.. وأذكر فى مناسـبة الحديث عن «عثمان أباظة» أنه لقى ربه فى مدرجات النادى الأهلى سنة ١٩٦٤ وهو يشاهد مباراة فى كـرة القدم فى الدورى العام، وكانت بين الأهلى وغزل المحلة، وعندما سـجل لاعب من المحلة هدفاً فـى مرمى الأهلى أصيب المرحوم «عثمان أباظة» بهبوط فى القلب، وكنت أقدم المعلق «على زيوار» أمام الميكروفـون، فلمحت هرجا ومرجا قـى المدرجات وسمعت من ينادى علىّ باعتبارى من تلاميذ «عثمان أباظة» الإذاعيين، فتركت الميكروفون لـ «على زيوار» وصعدت السلالم جرياً حتى وصلت إلى حيث كان المرحوم «عثمان أباظة» يعانى سـكرات الموت؛ وجاءت عربة الإسـعاف ونقلناه إلى قصر العينى وركبت السـيارة إلى جواره، وفى الطريق قال لى الطبيب فى عربة الإسـعاف أن قضاء المولى قد حل.. فنزلت من سيارة الإسعاف وذهبت إلى الإذاعة واتصلت برئيس الإذاعة وقتها الأستاذ «محمد أمين حماد» – يرحمه الله – وأخبرتـه بمـا حـدث، وكان اليوم يوم جمعة، فجاء الرجل إلى مكتبـه واتخذت إجراءات دفن المرحوم «عثمان أباظة» وقامت الإذاعة بإحضار المقرئين إلى مسجد عمر مكرم ليلة العزاء..

جامعة على شاطئ البحر ..

الله عليك يا اسـكندرية ما أحلاك وما أجملك، حقيقة أنتِ عروس البحر المتوسـط ودرة موانئ ومدن هذا البحر.. كانت هذه المعانى تطوف بذهنى عندما دخلت إلى المدينة لأول مرة فى خريف سنة ١٩٤٥ لألتحـق بجامعتهـا.. وإذا كانت دار السـينما فى مدينة قنا قد خلبت عقلى، فإن مدينة الإسـكندرية جعلتنى فى حالة من انعدام الوزن؛ فقد جئتها من مجتمع مغلق لا تخرج فيه المرأة إلى الشارع إلا ملتحفة ببردتها السوداء ولا يظهر من ملامحها شىء حتى عيونها تغطيها البردة؛ إلى مجتمع مفتوح حيث المرأة تعوم فى بحر المدينة بالبيكينى!!..

الإسـكندرية فى تلك السـنوات كانت مليئة بعباد الله من كل الأنحاء، فهذا يونانى وذاك طليانى وآخر إنجليزى يعيش فى ثكنات مصطفى كامل، بالإضافة إلى جاليات لا أول لها ولا آخر من فرنسيين وشـوام وأروام، لكن الجالية اليونانية كانت هى الأكبر.. كانت الإسكندرية آنذاك لا يزيد عدد سكانها عن نصف المليون منهم على الأقل مائة ألف من اليونانيين.. وقد يسـأل البعض لماذا الإسـكندرية ولماذا لم تلتحق بجامعة القاهرة التى كانت تسمى فى تلك الأيام (جامعة فؤاد الأول)!؟.. السبب فى اتجاهى إلى (جامعـة فـاروق الأول) هو أننـى كنت أود أن ألتحق بالمعهد العالى للكيميـاء الصناعية، وكان ذلك علـى غـير رغبة والدى الذى كان يريد أن ألتحق بكليـة الوزراء ورجال القضاء، كلية الحقوق.. كانت إرهاصات الشـباب تقول بمعهد الكيمياء لأعود إلى صحراء قنا الشـرقية أسـتخرج منها كنوزها المدفونة فى رمالها، هكذا كنت أفكر وأمنى نفسـى بأن أكون واحداً ممن يقيمون صروح النهضة على أسـاس من

العلم واستكشاف المخبوء فى باطن صحرائنا، التى كنا نسمع أنها مليئة بالخيرات.. وعندما وصلت مع والدى إلى الثغر الباسم كان المعهد المذكور قد أغلق أبوابه، وعلى الفور كان الاتجاه إلى كلية الحقوق.. ولما كانت الأيام القليلة التى قضيتها مع والدى بالإسكندرية جعلتنى أعشق المدينة؛ فإننى صممت على الالتحاق بجامعتها، و «آهو كله غربة واغتراب».. بالإضافة إلى أن مجموعة من زملاء الدراسة فى قنا قد التحقوا بجامعة الإسكندرية، لأن لهم أقرباء يعملون بالمدينة.. وكان ما كان والتحقت بكلية الحقوق.. وفى بنسيون عبارة عن شقة يعيش صاحب البنسيون اليونانى وأسرته فى حجرتين ويؤجر حجرة.. عشت فى تلك الحجرة كل سنوات الدراسة الأربع، وربطت بينى وبين صاحب البنسيون وأسرته رابطة من العشرة والألفة ظلت باقية حتى عودة هذه الأسرة إلى اليونان فى منتصف الستينيات، وكنت كلما ذهبت إلى الإسكندرية أجد الحجرة فى انتظارى خاصة فى شهور الصيف حيث تكون الحجرة خالية وكأنها تنتظر حضورى لأعيش فيها وأشغلها مرة ومرة.. ووقعت فى غرام الإسكندرية التى كانت فى تلك السنوات تستحق أن يقع الإنسان فى غرامها، فهى مدينة نظيفة تغسلها الأمطار عندما تهطل عليها بغزارة خاصة فى أيام الشتاء: المقاهى والمطاعم غاية فى النظافة، دور السينما تعرض أحدث الإنتاج السينمائى محليا وعالميا، والحياة هينة لينة ولا مشقة فى مواصلات المدينة المنظمة والنظيفة..

كانت كلية الحقوق تقع فى المدرسة العباسية الثانوية بمحرم بك قبل أن تنتقل إلى مبنى مدرسة الليتوريا الإيطالية فى الشاطبى، وكانت كلية العلوم تتخذ من جانب من مبنى المدرسة العباسية مكاناً لها، وكانت الجامعة فى أوائل سنة ١٩٤٦ تموج بالمظاهرات التى تطالب برحيل الاستعمار، وكان يؤجج شعلة المظاهرات مجموعة من قادة الطلبة على رأسهم «محمد التهامى» الشاعر الكبير الذى كان يلهب خيالنا بقصائده الوطنية، و «سعد التائه» – يرحمه الله – الذى كان خطيباً مفوهاً، وكانت كليتا الحقوق والعلوم أو مبنى مدرسة العباسية الثانوية على مرتفع من سطح الأرض، وعلى حافة هذا السطح قتل أحد ضباط الشرطة فى إحدى المظاهرات، وأغلقت الجامعة أبوابها إلى أجل غير مسمى حتى إننا أدينا امتحان النقل فى نوفمبر من عام ١٩٤٦ بدلاً من أن نؤديه فى يونيه من نفس العام، ولم تبدأ الدراسة للعام التالى إلا فى منتصف ديسمبر بدلا من أن تبدأ فى منتصف أكتوبر.. ويا لها من أيام..

عشق الكرة ..

عشقت الرياضة وكرة القدم وأنا طالب بكلية الحقوق بجامعة فاروق الأول.. وجاء عشقى للرياضة بالصدفة البحتة؛ ذلك أن نادى (الاتحاد السكندرى) وهو النادى العريق الذى يعتبر معشوق الثغر الأوحد، كان يقع إلى جوار كلية الحقوق بالشاطبى، وفى أيام الأحد من كل أسبوع كان الاتحاد يلعب واحدة من مباريات كرة القدم مع (النادى الأوليمبى) أو مع أندية الإسكندرية، فى إطار ما كان يسمى بطولة منطقة الإسكندرية لكرة القدم، وكنت عقب انتهاء محاضرات اليوم الدراسى الذى يوافق الأحد من كل أسبوع ألمح جماهير حول مداخل مدرجات النادى، وعرفت أن هناك مباراة كرم قدم سيلعبها

الاتحاد مع الأوليمبى وهما فى الإسكندرية مثل الأهلى والزمالك فى القاهرة، فلكل جماهيره الغفيرة التى تعشقه وتشجعه.. وكان أن اشتريت تذكرة دخول لمدرجات الدرجة الثالثة بمبلغ خمسة قروش، وهو فى تلك الأيام يعتبر مبلغاً مكلفاً بالنسبة لطالب مثلى، ومنذ ذاك اليوم أصبح نادى (الاتحاد السكندرى) يشكل حيزاً فى تفكيرى، وأصبحت مشاهدة مبارياته إدماناً بالنسبة لى، وتضاعف هذا الإدمان بعد أن دخلت مسابقة الدورى العام إلى ميدان الكرة المصرية سنة ١٩٤٨، وأصبحت أشاهد مباريات الاتحاد ضد الأهلى والزمالك والترسانة والمصرى والإسماعيلى وغيرها من أندية مصر..

ومن مدرجات نادى الاتحاد شاهدت عمالقة كرة القدم من نجوم الأربعينيات، مثل «عبدالكريم صقر» و «محمد الجندى» و «حنفى بسطان» و «جميعى» و «أبو حباجة» و «أبو المعاطى» و «حمزة» وغيرهم من لاعبى أندية القاهرة، بالإضافة – بالطبع – إلى نجوم الثغر: «الديبة» و «كمال الصباغ» و «الخولى» و «شنا» و «الجوينى» و «خطاب» و «حسن على».. وبجانب مشاهدة مباريات كرة القدم، ومن خلال عشقى للرياضة بصفة عامة؛ شاهدت مباريات كرة السلة، وكانت مباريات شديدة الإثارة والفاعلية وكان أطرافها أندية الأهلى والجزيرة والزمالك واليونانى وسبورتنج وسان مارك، وكانت تضم نجوماً شديدة اللمعان فى كرة السلة مثل «ألبير تادرس» و «حسين منتصر» و «يوسف أبو عوف» و «عبدالرحمن حافظ» و «يوسف عباس» و «مدحت يوسف» و «مدحت بهجت» و «هرارى» و «كتفاجو» وفؤاد أبو الخير وغيرهم من نجوم العصر الذهبى لكرة السلة فى مصر..

وكانت ملاعب كرة السلة تحظى بإقبال جماهيرى كبير، خاصة أن نجوم الإسكندرية فى هذه اللعبة كانوا على درجة عالية من الكفاءة فى اللعب، وبنفس الحماس الذى جعلنى أتعلق بنجوم كرة القدم كان تعلقى بنجوم كرة السلة.. وخلال سنوات الإسكندرية لم تكن مشاهدة المباريات هى همى الرياضى الوحيد، بل كانت الممارسة أيضاً.. وقد قيض لى أن أتعرف إلى أحد جيرانى فى الشارع الذى أسكن فيه، وكان والده مدرباً للتنس بنادى سبورتنج، فكان هذا الجار وهو تقريباً من نفس عمرى؛ يأخذنى إلى (نادى سبورتنج) بعد أن يستأذن مشرفى أبواب الدخول باعتبارى صديقا له..

وفى أحد الملاعب الفرعية كان يدربنى على التنس، وبالطبع كان يحضر لى المضرب والكرات وكل ذلك مجانا ومراعاة لحق الجيرة.. ومن طرائف ما حدث لى – حباً فى الاتحاد السكندرى – أن نهائى كأس الملك فاروق لكرة القدم صيف عام ١٩٤٨ كان بين نادى فاروق – الزمالك حالياً – والاتحاد السكندرى، وأعلن نادى الاتحاد عن رحلة لتشجيعه إلى القاهرة يدفع المشجع مبلغ خمسين قرشاً نظير رحلة القطار ذهاباً وإياباً من الإسكندرية إلى القاهرة، وثمن تذكرة الدخول إلى ملعب اتحاد الجيش بالعباسية.. ودفعت الخمسين قرشاً، وهو مبلغ أثقل كاهلى، ولكن كله يهون حباً فى الكرة ونادى الاتحاد، وسافرت مع الجموع، ومن محطة القاهرة ركبنا الترام إلى العباسية، ودخلنا إلى مدرجات اتحاد الجيش الخشبية، وكانت المفاجأة فى فوز الاتحاد بالكأس بعد أن تغلب بهدفين لهدف واحد على عتاولة نادى فاروق الأول، الذى كان يلعب له: يحيى إمام وعبد الكريم صقر والجندى وحنفى

بسطان وغيرهم، ويومها بزغ نجم «دياب العطار» الشهير بـ «الديبة»، الذى أحرز هدف الفوز للاتحاد، وكان عمره تسعة عشر عاما فقط.. وعدنا إلى الإسكندرية مساءً وسهرنا فى نادى الاتحاد إلى ساعة متأخرة من الليل احتفاءً بإحراز الكأس والفوز العظيم.. كنت قد وطدت العزم على أن تكون الإسكندرية موطنى ومجال عملى ومحل إقامتى حتى ولو كانت وظيفتى خارج حدودها..

البيه النيابة !!..

وعقب تخرجى فى الكلية صيف سنة ١٩٤٩ بدأت المناوشات والاستعدادات لكى ألتحق بسلك النيابة العامة وكيلاً للنائب العام، وانتظرنا على أحر من الجمر مدة شهور الصيف خاصة أنه كانت هناك إرهاصات بأن الانتخابات النيابية على الأبواب وأن الوفد سيكون له فيها قصب السبق، ونحن وفديون وابن عم والدى هو عضو الشيوخ فى حزب الوفد، وابن عمه الثانى لا شك فى أنه سيفوز فى انتخابات مجلس النواب القادمة.. وفى يناير سنة ١٩٥٠ أجريت الانتخابات وفاز الوفد باكتساح، إذن فأنا على مقربة من سلك النيابة العامة.. وسافرت إلى القاهرة لكى أكون قريبا من دائرة صنع قرار تعيينى فى النيابة العامة.. ومرت شهور يناير وفبراير ومارس من تلك السنة دون أن تظهر بادرة إيجابية واحدة تبشر بقرب التحاقى بالنيابة العامة، فالوزير «عبدالفتاح باشا الطويل» مشغول أو أن الحركة ستتأخر قليلاً، وهكذا، إلى أن تطرق اليأس إلى قلبى.. وفى تلك الأثناء كنت أتدرب كمحام تحت التمرين فى مكتب الدكتور «محمد صالح» أستاذ القانون التجارى المعروف وعميد الحقوق الأسبق.. كان المرحوم المهندس «أبو الفتوح طلبة صقر» صديقاً لأحد أقاربى، وكان صهراً للدكتور «محمد صالح» وهو الذى الحقنى بمكتب والد زوجته الدكتور «صالح» لكى أتمرن، وكان – يرحمه الله – إنساناً نبيلاً محباً للخير وكثيراً ما كان يهدئ أعصابى عندما أستشيط غضباً لتأخر تعيينى فى النيابة العامة..

وفى أحد الأيام وأنا جالس معه فى مكتبه قال لى: «ما رأيك لو عملت مذيعاً بالإذاعة المصرية؛ فقد أعلنت الإذاعة فى الصحف عن فتح باب التقدم للعمل بها، وهى تطلب مذيعين ومحررى أخبار ومقدمى برامج».. واستطرد يقول: «لماذا لا تتقدم حسب الإعلان المنشور فى الصحف، ويمكنك إذا ما قدر لك العمل بالإذاعة أن تستقيل إذا ما جاءتك وظيفة وكيل نيابة»..

وقع كلامه على مسامعى وقع المفاجأة القوية، فأنا لم أفكر فى وظيفة غير وظيفة وكيل نيابة.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت كل الوظائف الأخرى تطوف بذهنى ما عدا حكاية الإذاعة هذه، إنه شىء كان بعيداً كل البعد عن خواطرى وتطلعاتى.. وقبل أن أرد عليه بالقبول أو النفى سحب ورقة بيضاء وألصق عليها ورقة دمغة وكتب بخط يده طلب تقدمى لاختبارات الإذاعة وجعلنى أوقع على الطلب، واستدعى سكرتير مكتبه وأعطاه الطلب قائلاً له: اذهب وسلم هذا الطلب إلى ٥ شارع أحمد عبدالعزيز المتفرع من شارع شريف باشا أمام عمارة اللواء؛ حيث إدارة شئون العاملين للإذاعة المصرية.. وبعد أيام قليلة جاءنى خطاب بالبريد على عنوانى فى القاهرة، وعندما قرأته كانت سطوره تقول: إننى

يجب أن أذهب فى اليوم الفلانى إلى مبنى ستوديوهات الإذاعة فى رقم ٥ شارع علوى لأداء الامتحان أمام لجنة اختبار المذيعين للإذاعة المصرية.. إذن فالأمر أصبح واقعاً ملموساً وحقيقة ظاهرة للعيان.. وفى الخامس عشر من أبريل سنة ١٩٥٠ توجهت إلى رقم ٥ شارع علوى، وفى الصالة الفسيحة أمام ستوديوهات الإذاعة كان العشرات شباباً وشابات قد سبقونى لكى يؤدوا الامتحان.. والذى أود أن أذكره فى هذا السياق أننى جئت إلى لجنة اختبار المذيعين وأعصابى هادئة للغاية، فأنا لن أخسر شيئاً إذا لم أنجح فى الاختبار، وإذا نجحت وأصبحت مذيعاً فأنا سأستقيل عندما أعين فى النيابة العامة، ولذلك تعاملت مع لجنة الاختبار بقدر من عدم الخوف أو التهيب.. وكانت المفاجأة أننى عقب بعض الأسئلة التى وجهتها اللجنة إلىّ قالوا لى وهم فى ستوديو آخر ولا أراهم: «انتظر خارج الأستوديو».. وبعد ساعة خرج أستاذى «سعيد أبو السعد» – يرحمه الله – ليعلن أسماء الذين سيحضرون فى الغد للتصفية، وكان اسمى من بينهم.. وفى تصفية الغد كان اسمى ضمن التصفية التالية التى ستجرى بعد غد، وهكذا، إلى أن صدر القرار بتعيينى مذيعاً، ولكن مع إيقاف التنفيذ..

□□□

الفصل الثانى

إشراقة ثورة يوليو

عندمـا صـدر قرار تعيينى مذيعـاً بالإذاعة لم أفرح بل أصابنى نوع مـن الإحباط، وقلت بينى وبين نفسـى إنه لن تمضى أسـابيع إلا وأكون قد اسـتقلت من الإذاعة متوجهاً إلى وزارة العدل وكيلاً للنائب العام، لكن مع ذلك شعرت بشىء من خيبة الأمل، فما معنى أن تقول لجنة اختبار المذيعين فى تقريرها إن صوتى صالح للميكروفون ومخارج الألفاظ عندى سـليمة والحنجرة قوية ولكن يشـوب أدائى لهجة صعيديـة تمنـع من خروج صوتى عبر الميكروفون ما لم أتخلص من تلك اللهجة ! ! .. وعندئذ عرفت لماذا كانـت تصلنى ضحكات لجنة الاختبار وأنا فى سـتوديو الامتحـان بعد كل حوار يجرى بين أعضائها وبينى، وأتذكر أن واحداً منهم سألنى: لماذا تقول «جلنا» و «جال» ولماذا تعطش الجيم ولماذا لا تتحدث باللهجة القاهرية.. وكانت إجابتى تجعلهم يضحكون أكثر عندما كنت أقول لهم: «طب ومالها اللهجة الصعيدية !؟.. إيه يعيبها؟.. دا أنا جعدت أربع سـنين فى اسـكندرية وما اتكلمتش إلا بلهجتى اللى طول عمرى ماعرفتش غيرها».. إلى غير ذلك من إجابات فيها ما يشبه الإصرار على أن كلامى الصعيدى يعيش معى سواء فى الصعيد أم الإسكندرية أم حتى وأنا أؤدى امتحان المذيعين..

خارج الهواء ..

المهـم أن إدارة البرامـج ألحقتنى بالعمل قائماً بالتسـجيلات خارج الهواء؛ بمعنى أن أسـتقبل كل المتعاملـين مع الإذاعة ممن يسـجلون انتاجهم الإذاعـى ليذاع بعد ذلك، أقابل الضيف حسـب أوامر التسـجيل المرسلة إلىّ من إدارة تنسـيق البرامج، وأقوم بإعداد الميكروفون وأجرى عملية توازن لصوته، وعندما يبلغنى المهندس القائم على التسـجيل بأن جلسـة الضيف مضبوطة أمام الميكروفون أقول جملة مقتضاها أننا سنبدأ التسجيل بعد عشر ثوان، وعند انتهاء الثوانى العشر يضاء النور الأحمر فى الأستوديو وأكون قد فتحت مفتاح الميكروفون، وهنا يبدأ التسجيل.. وأشهد أن الشهور الخمسة عشر التى قضيتها مذيعـاً خارج الهواء كانت كفيلة بأن أتعرف إلى عديد من ضيوف الإذاعة من المتحدثين الذين سـجلت لهم، وكنت أرحب بهم عند مجيئهم للتسجيل: عباس محمود العقاد، محمد فريد أبو حديد، الدكتور محمـد عوض محمد، الفنان سـليمان نجيب، فكـرى أباظة، ومن الفنانـين: عبد المطلب، عبد الغنى السيد، عبد العزيز محمود، نادرة، لورد كاش، شهر زاد، وكثيرون وكثيرات غيرهم، بالإضافة إلى أطقم الدرامـا الإذاعية: محمد الطوخى، صلاح منصور، محمد علـوان، سميحة أيوب، زوزو نبيل وكثيرون

غيرهم، كلهم ارتبطت معهم بصداقة حميمة.. ولكن كيف السبيل إلى أن أصبح مذيعاً يقرأ نشرة الأخبار ويقدم فقرات البرنامج، وبالتالى يعرفه الناس ويصبح نجماً إذاعياً معروفاً!؟.. هذا ما جاهدت من أجله وأبليت فى جهادى هذا بلاءً حسناً، خاصة أننى بعد شهور قليلة من العمل بالإذاعة نسيت حكاية (وكيل النيابة) وأحببت العمل فى الإذاعة بل أكاد أقول عشقته، ووطدت العزم على أن أظل بالإذاعة، على رغم ما سببه لى ذلك من فتور فى العلاقة بينى وبين والدى الذى استهجن عملى وأمر ألا يفتح الراديو الذى يشبه الدولاب الذى كان فى بيتنا فى القرية، وأشهد أننى لقيت حنواً من أساتذة عظام علمونى حرفة الإذاعة وأسرونى بعطفهم وأستاذيتهم، ولن أنسى فى هذا المجال الراحل الأستاذ «عبد الوهاب يوسف» أعظم من أنجبته الإذاعة المصرية، عندما كان يستضيفنى فى مكتبه بين حين وآخر ويقول لى: «إحكى لى ما فعلته بالأمس».. وعندما يلحظ فى كلامى لهجة صعيدية كان يقول لى: «توقف، وأعد ما قلته باللهجة القاهرية».. وظللت على هذا الحال قرابة العام وأنا أدخل الامتحان تلو الامتحان وأستاذنا «على الراعى» كبير المذيعين فى تلك الأيام يقول لى عقب كل امتحان: «معلهش يا فهمى المرة الجاية حاتكون لهجتك أحسن وأحسن».. ولم أيأس وكنت لحوحاً وأنا كل عدة أسابيع أرجو أساتذتى أن يمتحنونى.. إلى أن كان الأول من أغسطس سنة ١٩٥١ عندما اصطحبنى الأستاذ «على الراعى» – يرحمه الله – وظل يتحاور معى هو فى ستوديو وأنا فى ستوديو آخر مدة نصف ساعة بعدها توقف الحوار، وقال لى: «بكرة إن شاء الله سأضعك فى جدول المذيعين مصاحباً لأحد زملائك، على ألا يخرج صوتك إلى الهواء إلا بعد أن تتعرف إلى الأستوديو وأصول العمل كمذيع هواء».. وبعد ثلاثة أسابيع خرج صوتى عبر الأثير يردد عبارة (هنا القاهرة)..

لم يصادف عملى مذيعاً بالإذاعة هوى فى نفس والدى، وأحسست أنه غير راض عن هذا العمل، خاصة أن البعض همس فى أذنه أن ابنه يعيش ويعمل فى مجتمع أغلبه من المغنين والموسيقيين، وأن الإذاعة هيصة فى هيصة، وعرفت ذلك من خلال أقاربى الذين كنت ألقاهم عندما يحضرون إلى القاهرة، وبالتالى لم أسافر إلى القرية مخافة اللوم والزجر، وحسب أوامره لم تستطع والدتى أن تدير جهاز الراديو الذى كان يعمل بالبطارية السائلة.. والبطارية السائلة هذه حكايتها حكاية، فهى بطارية كبيرة الحجم ولابد من شحنها كل أسبوعين على الأكثر، حيث يذهب بها أحد الأشخاص إلى مدينة (نجع حمادى) لتظل فى الشحن حوال خمس ساعات ويعود بها لتركب بمقابض تتصل بسلك مع الراديو، وكانت الرحلة من القرية إلى (نجع حمادى) تتم عن طريق ركوب الحمار والذى يقطع المسافة فى ساعتين ذهاباً ومثلهما إياباً.. المهم أنه كان هناك أكثر من راديو فى بيوت الأقارب من الأسرة وكان شباب الأسرة يستمع إلى الإذاعة، خاصة عندما يعرفون أننى أقوم بالعمل فى إحدى فترات البث الإذاعى، وبالطبع كان يدور الحديث حول عملى؛ وكانت السعادة تبدو على الجميع ؛ فاسمى يتردد كل يوم مرة تقريباً وأنا أقول: «هذه نشرة الأخبار يقرؤها عليكم فهمى عمر»!!..

الباشا المدير ..

ولم يسمح والدى بأن يفتح الراديو فى منزلنا إلا بعد أن فاجأه الباشا المدير بما لم يكن والدى يتوقعه.. ففى جلسة لعمد المركز مع الباشا مدير قنا، قال الباشا سائلاً والدى: «كيف استطاع ابنك يا عمدة أن يصبح مذيعاً.. أنا أسمعه دائماً ودى حاجة عظيمة»!!.. إذن فالعمل كمذيع شىء عظيم بدليل أن الباشا المدير يشيد به ويقول عنه إنه شىء عظيم.. قالت لى فيما بعد والدتى – يرحمها الله – إن والدى عقب العودة من جلسة العمد فى قنا أشار بفتح الراديو، بل وأصبحت الفترة الإذاعية التى أقوم بتنفيذها صباحاً أو ظهراً أو مساءً هى الفترة التى لا يغادر والدى المنزل أثناءها حتى تنتهى.. وأتذكر تلك الأيام الجميلة التى شهدت بواكير عملى كمذيع، أتذكر كيف كان العمل يأخذ كل جهدى وأعطيه كل طاقتى، أتذكر كيف كانت الإذاعة المصرية منبراً للثقافة وأداة للترويح، أتذكر جامعة على الهواء تثقف وترفه وتنشر العلم والأدب وتبث مختلف ألوان الفنون وتشيع الذوق العام بين المواطنين، أتذكر أساتذة عظاماً نحتوا فى الصخر لكى يقدموا فنوناً إذاعية مازالت تعيش فى الوجدان، على رغم مرور السنين كان العمل فى الإذاعة يجرى على نسق من الدقة وحسن الأداء، لم يكن مسموحاً لمذيع أن يخطئ فى النحو أو الصرف ومن يخطئ يرفع من جدول المذيعين أسبوعاً أو أسبوعين ليتدرب على أصول اللغة، لم يكن مسموحا أن تدخل الأستوديو بالقميص والبنطلون فقط بل لابد من ارتداء الزى الكامل وتربط الكرافتة وتضع الطربوش على رأسك، كان أستاذنا «حافظ عبد الوهاب» يرحمه الله يقول إن المستمع أذكى من المذيع فلا تجعل المستمع يحس أنك لم تحلق ذقنك أو تهذب شعر رأسك ولا تجعله يحس أن حذاءك غير لامع.. «كيف هذا يا أستاذنا!؟».. فيقول: إنك إذا لم تؤد عملك بنشاط وحيوية، وإذا لم تكن قد راجعت نشرة الأخبار مثنى وثلاث وضبطت وقفاتك وأحسنت تشكيل الكلمات، فأنت مذيع مبهدل فى ملبسك وأنت لست على سنجة عشرة، كما يقولون.. كان أستاذنا «عبد الوهاب يوسف» يقول إن نشرة الأخبار تذاع فى تمام الساعة كذا، ومعنى ذلك أنها لا تنطلق قبل هذا الموعد المحدد أو بعده، ومن هنا وجب الانضباط واحترام الوقت، وأشهد أن مبدأ الانضباط فى الوقت لايزال يعيش معى حتى الآن ؛ فأنا إذا أعطيت موعداً لأحد الأصدقاء، فلابد وأن أكون فى المكان المحدد قبل الموعد بعشر دقائق على الأقل.. وعلى العموم كانت الإذاعة وما زالت شيئاً رائعاً وجميلاً فى حياتى، لقد أعطتنى الإذاعة أضعاف ما كنت أحلم به، فقد وسعت دائرة معارفى وجعلتنى أطوف أغلب بلدان العالم، وحققت لى بعضاً من الشهرة والذيوع أحمد المولى عز وجل عليها حمداً كثيراً وأثنى عليه بلا حدود..

أساتذة عظام ..

قدر لى أن أتتلمذ وأنا بعد برعم إذاعى صغير يوشك على التفتح على أيدى الأساتذة العظام الذين ساهموا بجهد وافر فى جعل الإذاعة المصرية ومنذ نشأتها جامعة أثيرية باذخة تنشر العلم والمعرفة

ويتدفق ميكروفونها بالعطاء الثقافى والأدبى والفنى.. وقد قام عمل هؤلاء الرواد والأساتذة على أساس فلسفة تقول «إن الإذاعة المصرية تقدم برامج نسيجها ثقافة ترفه» و «ترفيه يثقف».. وعلى هذا الدرب سارت الإذاعة المصرية، ويقود المسيرة هؤلاء الرواد العظام، ولعلى أذكر فى هذا السياق الأساتذة «عبد الوهاب يوسف»، بابا شارو، «حافظ عبد الوهاب»، «على الراعى»، «أنور المشرى»، «على خليل»، «السيد بدير»، «صفية المهندس»، «عبد الحميد الحديدى»، «حسنى الحديدى» – رحمهم الله جميعاً – وكم كانت سعادتى مضاعفة عندما اختارنى «عبد الوهاب يوسف» لكى أحمل له الإسطوانات التى سيستعمل جانباً من الموسيقى المسجلة عليها كمقدمة وفواصل بين مسامع البرنامج الدرامى الذى سيخرجه، لقد اختارنى الأستاذ من بين أقرانى لأساعده فى عمله فياله من شرف كان محل حسد الزملاء.. ولن أنسى توجيهات «أنور المشرى» وهو يصطحبنى معه إلى الإسكندرية لأكون المذيع المساعد فى تقديم المعلقين الرياضيين وتسجيل صور إذاعية عن فعاليات دورة ألعاب البحر المتوسط الأولى التى نظمتها مصر فى الإسكندرية سنة ١٩٥١، وكم كان جميلاً أن يوجهنى المرحوم «عبد الحميد يونس» إلى كيفية خروج الألفاظ المتقاربة خروجا سليماً من الفم مثل السين والثاء والكاف والقاف، ويا لهول المصيبة عندما أخطأت فى نطق كلمة «داوننج ستريت» مقر رئيس الوزراء البريطانى؛ فقد انتفض المرحوم «عبد الحميد الحديدى» وكان مراقباً للأخبار، وبدا غاضباً أشد الغضب وأصدر أمره منذ ذلك الحين بأن تكتب الكلمات الأجنبية بلغتها وحروفها الأصلية بجانب كتابتها باللغة العربية..

الحديدى وعلى خليل ..

وبالمناسبة كان المرحوم «عبدالحميد الحديدى» رجلاً عذباً فى تعامله مع الناس، وإن كان شديد الجدية فى عمله، ولى معه واقعة طريفة، ذلك أننى كنت أتردد على مكاتب الزملاء فى مراقبة الأخبار أثناء فترة عملى مذيعاً خارج الهواء، وفى أحد الأيام دخل الأستاذ «الحديدى» إلى مكاتب الزملاء ونظر إلينا ملياً، ثم قال: «من ليس له عمل فى المراقبة فليتفضل مشكوراً بمغادرة الغرفة».. وبالطبع لم يكن هناك غيرى لا يعمل فى مراقبة الأخبار، فغادرت المكان مطأطأ الرأس يغطينى الخجل الممزوج بحمية صعيدية، وأقسمت بينى وبين نفسى ألا أدخل مراقبة الأخبار بعد ذلك إلا إذا كان لى عمل أنجزه فيها، وظللت على ذلك التحدى عدة شهور، وكان الزملاء عندما يروننى ماراً أمام حجرة المراقبة يدعونبنى للدخول قائلين إن الأستاذ الحديدى غير موجود، ولكنى كنت مصراً على أن أبر بقسمى.. وشاءت المقادير أن أصبح مذيعاً يقرأ نشرة الأخبار، وكان العرف السائد أن يذهب المذيع إلى مراقبة الأخبار ليراجع النشرة مع المسئولين عن تحريرها، وكانت فترة الظهيرة فى أحد الأيام من جدول عملى الأسبوعى، وكان اليوم يوافق وقفة عيد الأضحى، ودخلت حجرة الأخبار وأخذت أقلب صفحات النشرة، وهنا دخل الأستاذ «الحديدى» وجلس إلى أحد المكاتب يناقش أحد محررى الأخبار فى شأن من الشئون، وبعد أن أتممت مراجعة النشرة وقفت وصحت فى الجميع قائلاً: «كل عام وأنتم

بخير» ولم أقدم التحية الواجبة للمراقب العام، وعقب قراءتى للنشرة أضاء النور الأصفر فى الأستوديو علامة أن هناك مكالمة تليفونية لى، ورفعت السماعة فإذا بصوت جهورى يقول: «يا أستاذ فهمى أنا عبد الحميد الحديدى.. كل عام وأنت طيب» وانهى المكالمة قبل أن أرد عليه، وكانت فترة ما بعد الظهر قد جاءت إلى نهايتها فنزلت سلالم الأستوديوهات بسرعة متجها إلى مراقبة الأخبار ودخلت مكتب الأستاذ «الحديدى» وأنا أقول بصوت جهورى: «وأنت طيب يا سعادة البيه.. كل سنة وأنت بخير يا ريس».. وابتسم الرجل ابتسامة عريضة، ومن تلك اللحظة أصبحت فى عداد تلاميذ وأصدقاء «عبد الحميد الحديدى»..

عندما التحقت بالإذاعة فى مطلع خمسينيات القرن الماضى كان الإذاعى القدير الأستاذ «على خليل» يحمل لقب (حضرة صاحب العزة)، فقد أنعم عليه الملك فاروق برتبة (البكوية) جزاء عطائه للإذاعة وما قدمه خلال سنين عمله من جهد فى سبيل تمصيرها وتطوير برامجها.. كان «على خليل» واحداً من بناة الإذاعة العظام التحق بها قبل أن ينطلق صوتها مرددا عبارة (هنا القاهرة) عبر الأثير، وعين سكرتيراً لقسم الأحاديث، وتدرج فى المناصب الإذاعية إلى أن أصبح مديراً عاما للبرامج، أى إنه صاحب الحل والعقد والرأى الأول والأخير فيما تبثه الإذاعة من برامج، وأذكر فى هذه المناسبة أن رئيس الهندسة الإذاعية فى تلك الأيام المرحوم المهندس «إبراهيم صالح» أخذ على خاطره متسائلا عن عدم تشريفه برتبة (البكوية) وهو الذى أبلى أحسن البلاء عندما جاء من مصلحة التليفونات يشرف ويدير محطات الإرسال وتشغيل استوديوهات الإذاعة عقب التمصير مباشرة سنة ١٩٤٧، ثم إن درجته الوظيفية تماثل درجة (على بك خليل)، فـ «على بك» مدير عام البرامج وهو مدير عام الهندسة.. وحسما للموضوع منح الرجل رتبة (البكوية) وأصبح هو الآخر (صاحب عزة)..

كان «على بك خليل» فى تلك الأيام شاباً جميل الطلعة ممشوق القوام لا يتجاوز عمره السادسة والثلاثين، وكان شديد الأناقة فى ملبسه، حيث يرتدى أفخر الثياب والمنديل الحريرى يتدلى من جيب صدر الجاكتة مشابها فى لونه لون الكرافتة، فى حين ينحنى طربوشه بزاوية على جانب رأسه الأيمن، مما كان يعطيه وقاراً وهيبة، وكانت البسمة لا تفارق شفتيه مع صوت خفيض وهدوء نفسى يبدو واضحاً على تصرفاته، وكانت مهابته تجعلنا نحن المذيعين الجدد نتوارى عندما نصادفه فى طرقات الإذاعة داخلاً إلى مكتبه الذى كان يقع ومعه بعض مكاتب أخرى فى عمارة متهالكة تقع على ناصية شارع شريف وشارع الشريفين، هذه العمارة أزيلت وأقيمت بدلاً منها عمارة جديدة ظلت الإذاعة تستأجر عدة شقق فيها ولم تتركها إلا بعد أن انتقلت مكاتبها إلى مبنى ماسبيرو الرابض على النيل.. لم نكن نتوارى منه خوفاً بل مهابة وتعظيماً، وكم كان – يرحمه الله – ودوداً وكريماً، وتشهد على ذلك واقعة حدثت لى شخصياً معه، ففى إحدى نوبات عملى كمذيع لفترة السهرة وكانت تبدأ فى الثامنة والنصف مساءً وتنتهى بانتهاء الإرسال بعد نشرة الساعة الحادية عشرة، إذ لم تكن الإذاعة فى

تلك الأيام تبث أكثر من عشر ساعات يومياً مقسمة على فترات الصباح والضحى، وبعد الظهر، وأخيرا فترة المساء والسهرة.. فى تلك السهرة حدث خلل فى مفتاح الميكروفون، مما أدى إلى أن ما جرى بينى وبين ضيف السهرة الذى كان يلقى حديثاً إذاعياً من دردشة عقب انتهائه من إلقاء حديثه الذى أذيع على الهواء، وجاء المهندسون يجرون وعرفوا أن الخطأ هندسى، فقد وجدوا المفتاح مغلق ولكن الخلل فى المفتاح نفسه.. وذكروا فى تقريرهم الهندسى أن العيب والخطأ فى مفتاح الميكروفون وأن المذيع لم يكن غافلاً أو مستهتراً، وذكرت أنا ذلك فى تقرير المذيعين، وكان «على بك خليل» يستمع إلى البث الإذاعى واتصل تليفونيا فأخبره المهندسون بما حدث، ولكن جاء من يستدعينى صباح اليوم التالى لمقابلة مع مدير عام البرامج فى مكتبه.. وعلى رغم ثقتى بأن الخطأ ليس خطئى إلا أننى توجست خيفة من اللقاء، إذ كنت حديث العهد ولم يكن عمرى كمذيع يتعدى بضعة أشهر، وعندما دلفت إلى مكتبه زالت منى كل مشاعر الخوف، فقد هب الرجل واقفا ليسلم علىّ وأمر لى بفنجان قهوة وأخرج علبة السجائر الـ (لكى ستربك) وأصر على أن أخذ سيجارة منها وأصر على أن يشعل لى السيجارة بولاعته الذهبية، وأخذ الرجل يتحدث عن الإذاعة وتاريخها وفلسفتها، وما يجب أن يراعيه من يعمل فى جنباتها من انضباط والتزام.. وأخذنا الحديث كل مأخذ وجرى فى مناح كثيرة، ماعدا المنحى المتعلق بما حدث فى سهرة الأمس.. منذ ذلك التاريخ وصلتى لم تنقطع بالرجل حتى عندما صدر القرار بإبعاده عن الإذاعة بعد الثورة بأسابيع فقد كنت ألتقى به فى النادى الأهلى، حيث كان يجلس مع أصدقائه كل ليلة وكان يقول لى إنه لا داعى لأن تحضر لمقابلتى مخافة أن يؤخذ هذا علىّ وأجد نفسى خارج الإذاعة أنا أيضاً، ولكنى داومت على لقائه، ولعل هذا ما كان يجعله على الدوام يصفنى بأننى صعيدى أصيل.. رحم الله «على خليل» الرائد الإذاعى وشيخ الإذاعيين..

شارع الشريفين ..

كانت الإذاعة المصرية عندما التحقنا بها فى مستهل سنة ١٩٥٠ تتناثر مكاتبها وإداراتها فى شقق تقع فى الشوارع المحيطة بالأستوديوهات: مدير الإذاعة مكتبه فى ٣ شارع علوى، الأخبار والتنسيق فى الدور الأرضى من العمارة المتهالكة التى تقع على ناصية شارع الشريفين وشارع شريف، وشارع شريف هذا شارع صغير يربط ما بين شارع شريف باشا المعروف وشارع الشريفين، أما مكتب مدير عام البرامج ومكاتب المشرفين على إدارات المذيعين والمنوعات والتمثيليات والأحاديث فتقع فى الدور الثانى من نفس العمارة، وفى شارع البطل أحمد عبد العزيز المتفرع من شارع شريف باشا أمام عمارة اللواء تقع إدارة شئون العاملين والحسابات، وجاءت وزارة الوفد فى نهايات سنة ١٩٥٠ وأوائل سنة ١٩٥١ وجعلت من مبنى شركة شل الكائن فى ٤ شارع الشريفين مكانا موحدا لإدارات الإذاعة، خاصة أن شركة شل كانت قد أقامت مبنى كبيراً فى شارع عرابى فى وسط القاهرة انتقلت إليه.. وهكذا أصبح للإذاعة مقر كبير يضم كل إداراتها، وجاءت إدارة الهندسة الإذاعية لتتخذ من الدور الثالث من المبنى

الجديد مكانا لمهندسيها بعد أن كانوا مكدسين فى حجرة صغيرة بالمبنى رقم ٥ شارع علوى، بينما احتلت إدارة المذيعين ثلاث حجرات فى الدور الثانى بالمبنى.. ولم يكن للمذيعين مكاتب يجلسون عليها بل كانت حجرتهم عبارة عن عدد من الكراسى ودولاب مقسم إلى مربعات صغيرة وكل مربع عليه اسم مذيع من المذيعين، وتوضع فى المربعات كل التعليمات الخاصة بعملية تنفيذ البرامج حسب وردية كل مذيع كما يوضع له التكليف الخاص بمسئوليته عن إذاعة خارجية مثل تقديم حفل من الحفلات أو إذاعة شعائر صلاة الجمعة.. وكنا نحن المذيعين فى تلك الأيام من مطلع الخمسينيات نلتقى معاً فى استراحة المذيعين بمبنى الأستوديوهات فى شارع علوى حيث نتحاور ونتدارس وينتقد بعضنا بعضاً فى روح رياضية وأخوة، وكنا عادة نتناول وجبات غذائية بعد أن يدفع كل واحد منا نصيبه من تكاليف الوجبات..

النهج الإنجليزى ..

كانت الإذاعة حتى قبل الثورة تسير على نهج الإدارة الإنجليزية فيما يتعلق بالثواب والعقاب، بل إن بعض تأشيرات الرؤساء كانت تكتب بالإنجليزية.. أذكر أننى كلفت فى نهايات سنة ١٩٥١ بتنفيذ إذاعة خارجية من الإسكندرية، وكانت هذه أول مرة أقوم فيها بالسفر إلى خارج القاهرة لتنفيذ عمل إذاعى، وبعد قضاء ليلتين بالإسكندرية عدت وتقدمت باستمارة صرف بدل السفر المقرر وكان لا يزيد على ثلاثة جنيهات أو أقل لليوم الواحد، وكان لابد وأن يوقع على الإذن بالصرف السيد مدير عام البرامج «على بك خليل»، وكانت المفاجأة أن الرجل وافق على مصاريف السفر من مبيت ومواصلات وأضاف جملة بالإنجليزية مازالت ترن فى أذنى حين قرر صرف خمسة جنيهات إضافية وكانت الجملة «And More Five Pounds For Refrechment»، ذلك أن الرجل ظن أننى ربما جلست على أحد المقاهى فتكلفت مالاً ونظفت حذائى فتكلفت مالاً أو أننى أعطيت بقشيشاً لعامل المقهى أو الفندق، وكان ذلك عرفاً متبعاً منذ الإدارة الإنجليزية للإذاعة، وهى الإدارة التى أشرفت على البث الإذاعى بحسب عقد أبرم بين الحكومة المصرية وشركة ماركونى التى ظلت تدير الإذاعة إلى سنة ١٩٤٧ عندما فسخت الحكومة المصرية العقد وأصبحت الإذاعة مصرية خالصة..

إشراقة يوليو ..

كان من حظى ومن أيام سعدى أن أكون أول إعلامى يلتقى بالثورة المصرية مع إشراقة يومها الخالد، فقد كنت – حسب جدول العمل بقسم المذيعين – المذيع الذى ينفذ فترة الصباح من البرامج يوم الأربعاء من كل أسبوع، والثورة – كما نعرف جميعاً – بدأت بواكيرها فجر الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ الذى وافق يوم أربعاء.. كان الإرسال صباح كل يوم يبدأ فى الساعة السادسة والنصف وبالتالى كان لزاماً علىّ أن أكون فى استوديوهات الإذاعة حوالى الساعة السادسة صباحاً.. يومها أمضيت الليل

فى شـقة أحد الأصدقاء الذى كان يسـكن قريباً من ميدان الأزهار – باب اللوق الآن – وتعودت عندما أمضى الليل بعيداً عن مسـكنى أن أخطر جراج الإذاعة بأنه لا داعى من إرسـال العربة التى تقل وردية الصباح من العاملين بالإذاعة.. وحوالى السـاعة السادسـة من صباح ذلك اليوم كنت أدلف فى شـارع الشريفين عند التقائه بشارع صبرى أبو علم، واسترعى انتباهى حصار مضروب حول مبنى الإذاعة قوامه رجال من الجيش فى حين أن الإذاعة ومنذ حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ كان يقوم على حراستها عسـاكر من بلوكات النظام التابعة لوزارة الداخلية، وعندما حاولت دخول الشـارع استوقفنى ضابط من القوات المسـلحة برتبة الملازم ثان سـائلاً عن وجهتى وأن المرور والسير ممنوع فى شارع الشريفين وكل الشـوارع المؤدية إلى اسـتوديوهات الإذاعة فى شارع علوى.. ولما عرفته بنفسى رحب بى وسار معى إلى مبنى الأسـتوديوهات وصعد معى سـلالم المبنى إلى أن سـلمنى إلى رئيس له برتبة اليوزباشـى – نقيب الآن – قائلاً له أننى المذيع المسـئول عن تنفيذ فترة الصباح من البرامج.. كان السـهر والقلق يبدو على وجه اليوزباشى «جمال القاضى» – يرحمه الله – الذى كان رئيس السرية التى احتلت مبنى الإذاعة، وبالمناسـبة «جمال القاضى» هذا هو شـقيق الصحفى «فاروق القاضى» الـذى كان واحداً من أبناء مجلة (روزاليوسف).. ووصلت إلى استراحة المذيعين حيث كان يجلس البكباشى – مقدم الآن – «محمد أنور السـادات» وحوله مجموعة من الضباط.. وقد عرفت «السـادات» على الفور فقد كان ملء السمع والبصر طوال سـنين الأربعينيات وقرأنا عنـه الكثير بداية من عوامة الراقصة «حكمـت فهمى» ومروراً بهروبه من المعتقلات ومشـاركته فى قضية مصرع «أمين عثمان» وانتهاءً بما كان ينشـره من مذكرات فى مجلة (المصور) تبرز وطنيته ونضاله فى سبيل الجلاء واستقلال مصر.. ومنذ اللحظة الأولى التى صافحت فيها «أنور السادات» أيقنت أن ما كان يجيش بصدورنا نحن شباب تلك الأيام الذين كنا نخرج إبان الدراسة الجامعية فى مظاهرات عارمة تطالب بالجلاء ورحيل المستعمر وسقوط الملك قد أصبح واقعاً ملموساً وأن الضباط والجنود الذين ملأوا جنبات الإذاعة والشـوارع المحيطة بها ما جاءوا إلا من أجل تحقيق الحلم الذى داعب خيالنا سنوات طويلة ألا وهو جلاء المستعمر والقضاء على فساد الملك والأحزاب.. ولم أناقش بالطبع مطلب السيد «أنور السادات» عندما قال لى مبتسمًا إن هناك تعديلاً سيدخل على برامج الإذاعة وأنه سيقوم بالقاء بيان خلال الميكروفون عقب بدء الإرسال مباشرة..

البيان الأول ..

ولم أتردد لحظة واحدة فى تلبية الطلب.. ودخلنا معاً الأسـتوديو فى السـاعة السادسـة والنصف إلا خمـس دقائـق فى انتظـار بدء الإرسـال.. وقلت له إننى سـأقول بعض الكلمـات التى نحيى بها المستمعين، وعرضت عليه أن يذاع البيان عقب دقائق من الموسيقى العسكرية التى كانت الإذاعة تفتتح بها الإرسـال عادةً قبل فقرة تمرينات الصباح الرياضية، ووافق سـيادته، وعقب دقات السـاعة أعلنت عن بدء الإرسـال وبعد دقيقة واحدة من بداية الموسـيقى أخطرنى مهندس غرفة المراقبة بأن الإرسال قد

انقطع من أبو زعبل حيث محطة الإرسال.. وقلت للسيد «أنور السادات» إن الإرسال إنقطع وأن الإذاعة متوقفة عن البث.. وأقول إن الرجل أصيب بلون من التوجس والاضطراب ولكنه تمالك أعصابه وخرج على الفور من الاستوديو واتصل تليفونيا ودار حديث فهمت منه أن هناك وحدة عسكرية على وشك أن تصل إلى أبى زعبل لوضع الأمور فى نصابها، وظللت أذيع فقرات البرنامج كما هى فى البرنامج حتى إذا ما عاد الإرسال كان هناك مادة إذاعية تبث على الهواء.. وقبل الساعة السابعة والنصف موعد إذاعة نشرة الأخبار بدقيقتين عاد الإرسال، ودخل «السادات» إلى الاستوديو، وقلت الجملة التى لن أنساها وهى: «سيداتى وسادتى أعلنت ساعة جامعة فؤاد الأول السابعة والنصف من صباح الأربعاء الثالث والعشرين من يوليو وإليكم نشرة الأخبار التى نستهلها ببيان من القيادة العامة للقوات المسلحة يلقيه مندوب القيادة».. وانساب صوت «السادات» يعلن أول بيان لثورة الثالث والعشرين من يوليو.. وعندما انتهت فترة البث صباح الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ وكان ذلك فى حوالى الساعة الثامنة والربع تقريباً غادرت مبنى الأستوديوهات فى شارع علوى متجهاً إلى مكتبى فى قسم المذيعين بشارع الشريفين، والمسافة لا تزيد على ثلاثين متراً، ولكنى اجتزتها فى أكثر من خمس دقائق، فقد امتلأت الشوارع المحيطة بالإذاعة بالمئات من المواطنين وهم يقبلون جنود القوات المسلحة المحاصرين للمكان، وبعض المواطنين تسلق العربات المصفحة ليقدم للجنود الشاى وقطع البسكويت والجميع يهتف (تحيا مصر) وإن كانت الغالبية منهم لا تعرف أبعاد ما حدث ولكنه الإحساس الداخلى الذى تملك كل فرد من هذه الجموع، إحساس يؤكد أن هناك حدثاً جللاً يجتاح الحياة فى مصر وأن حجراً يلقى فى المياه الراكدة ويشعل جذوة الوطنية، خاصة أن الجو العام كان شديد العبثية حيث كانت تتشكل وزارة جديدة كل عدة أيام، إضافة إلى الكبت الذى عاناه مجتمع القاهرة على مدى الشهور الماضية عندما كان التجول محظوراً على المواطنين فى ساعات الليل عقب حريق القاهرة.. وما إن دخلت مكتبى وكان عددٌ من الموظفين الإداريين فى مكاتبهم جاءونى جميعاً لكى أحكى لهم ما حدث.. ثم انهالت علىّ المكالمات التليفونية من الأصدقاء والمعارف الذين استمعوا إلى بيان الثورة يردده بعض الضباط عقب قراءتى لنشرة الأخبار وبعد أن كان السيد «أنور السادات» قد ألقاه بنفسه فى مستهل نشرة الأخبار الساعة السابعة والنصف.. وكنت قد سألت السيد «أنور السادات» عما إذا كان فى مقدورى أن أقرأ البيان مرة أخرى حتى نهاية فترة الإرسال، ولكن الرجل قال إن السادة الضباط هم الذين سيقرأون البيان، واستطرد بقوله إننا لا نريد أن نقحمكم فى هذا الأمر، وبالفعل قرئ البيان عدة مرات عقب انتهاء نشرة الأخبار وحتى توقف البث الإذاعى الصباحى بأصوات أكثر من ضابط من الضباط الذين يتولون إحكام الحصار على الإذاعة.. وفى الساعة العاشرة صباحاً بدأت فترة الضحى من البرامج وكانت تستمر لمدة ساعة واحدة، وخلال هذه الساعة قرأ السادة الضباط البيان عدة مرات، وكان مهندسو التسجيلات الإذاعية قد بدأوا عملهم فى التاسعة صباحاً، وسجلوا البيان على اسطوانة أثناء إذاعته على الهواء، وكان قارئو

البيـان – للأسـف – لا يعرفون (اسـم إن) من (خبر كان) ولذلك أذيع البيان طـوال يوم الأربعاء بلغة ركيكـة وبأخطاء نحوية كثيرة، ولم تعتدل قراءة البيان ويلقى بلغة سـليمة إلا فى فترة السـهرة عندما أيقن المسـئولون أن الأمر قد اسـتتب لهم وأن الثورة قد نجحت، فرحبوا بقراءة المذيعين للبيان، وخرج صوت الراحل «جلال معوض» فى نشرة الثامنة والنصف مساء الأربعاء ٢٣ يوليو يصافح آذان المستمعين ببيانات الثورة..

❑❑❑

obeikandl.com

الفصل الثالث

الإذاعة من مخزن فوق السطوح !!..

وفى هذا السياق أقول إن البعض شكك فى إذاعة «أنور السادات» للبيان، بل إن السيد «حسين الشافعى» قال إن «السادات» لم يقرأ البيان على الإطلاق.. لكن الواقع يقول إن الرجل قرأ البيان الأول أمامى وغادر الإذاعة، ثم قرأ السادة الضباط البيان بعد ذلك.. وأشهد أن السادات قرأ البيان فى لغة سليمة ولم يخطئ نحواً أو صرفاً.. وقد كان لزاماً أن يسجل البيان بصوت «السادات» إحقاقا للتاريخ وتأريخاً للواقعة، ولذا تفتق ذهن الراحل «السيد بدير» كبير مخرجى الإذاعة فى ذلك الوقت عن تقديم سهرة إذاعية احتفالاً بمرور ستة أشهر على قيام الثورة، وكتب «السيد بدير» سيناريو السهرة وجاء بى لكى أكون الراوى الذى يحكى ما حدث فى صباح الأربعاء ٢٣ يوليو، ثم تتداخل المسامع بعد كل جزء من أجزاء ما أرويه من تفاصيل تلك الساعات، وبالطبع كان لزاماً أن يتضمن البرنامج بيان الثورة وبصوت «السادات» واتخذت إجراءات تسجيل البيان بصوت «السادات» عن طريق الاتصال بالراحل «وجيه أباظة» الذى كان مديرا للشئون المعنوية للقوات المسلحة، وتم ترتيب الموعد وذهبت بنفسى ومعى أجهزة التسجيل ومهندسو الصوت إلى مبنى قيادة الثورة فى طرف الجزيرة، وهو المبنى الذى كان واحداً من استراحات الملك فاروق ويقع الآن بجوار شيراتون الجزيرة، وقام السيد «أنور السادات» بتسجيل البيان.. ولا يزال هذا التسجيل فى مكتبة شرائط الإذاعة موجوداً، وهو غير التسجيل الذى سجله التليفزيون عندما حكى «السادات» للراحلة «همت مصطفى» قصة الثورة..

المذيع الصعيدى ..

اشتهرت فى مستهل عملى بالإذاعة بلقب (المذيع الصعيدى) بحسبان ما جرى لى وما كان من تعيينى مذيعاً ولكن مع ايقاف التنفيذ حتى أتخلص من اللهجة الصعيدية، ولعل العمود الصحفى الذى كتبه عنى الراحل الأستاذ «جليل البندارى» المحرر الفنى لمجلة آخر ساعة فى خريف سنة ١٩٥١ عقب خروج صوتى على الهواء بعد أن تمكنت من التعامل مع المجتمع الإذاعى باللهجة القاهرية، لعل هذا العمود وما احتواه من قصة لهجتى الصعيدية وكيفية التخلص منها هو الذى ضاعف من التصاق لقب المذيع الصعيدى بشخصى، حتى إنه فى أحد الأيام جاءت كوكب الشرق «أم كلثوم» إلى ستوديو رقم واحد بمبنى الأستوديوهات لتستمع إلى تسجيل الحفل الغنائى الذى تقيمه فى الخميس الأول من كل شهر، وكان ذلك من عاداتها حيث تحرص على الاستماع إلى تسجيلات الأغنيات التى غنتها فى الحفل لكى تجيز إذاعة هذه الأغنية أو تلك بعد ذلك حسب رضاها عن أدائها الغنائى لهذه الأغنية

أو تلك.. أذكر أننى دخلت الأستوديو لأبحث عن سماعة الأذن الخاصة بى والتى كنت نسيتها فى الأستوديو فى اليوم السابق، وفوجئت فعلاً بالسيدة «أم كلثوم» فقد كان لها هيبة وشموخ لا أستطيع أنا المذيع حديث العهد بالإذاعة إلا أن أهتز أمامها وكان إلى جوارها ابن شقيقتها المهندس «محمد دسوقى» الذى يعمل فى إدارة تشغيل استوديوهات الإذاعة.. وعندما شاهد «دسوقى» ربكتى هدأ من روعى قائلاً: «أهلاً.. اتفضل تعالى سلم على الست».. وقال لها: «ده فلان، المذيع الصعيدى»!!..

مواجهة مع أم كلثوم ..

وكانت يرحمها الله تتمتع ببديهة وذكاء فقالت على الفور وهى تسلم علىّ: «يعنى اللى بيسلم عليه يقول له صعيده».. وظل هذا اللقب يلازمنى سنوات عمرى وأنا سعيد به، وأذكر أن الراحلة «همت مصطفى» وهى تحاور الرئيس «السادات» عندما كان يحكى لها تفاصيل قيام ثورة يوليو سألته عن صباح الثورة وكيف أذاع بيانها الأول، فقال الراحل ما معناه أنه ذهب فى الصباح الباكر إلى ستوديوهات الإذاعة وأن المذيع الذى قدمه عبر الميكروفون كان المذيع الصعيدى «فهمى عمر».. وأكثر من ذلك فإن أستاذنا الراحل «أحمد طاهر» الذى أدخل على الإذاعة ما يسمى بـ (البرامج الجماهيرية) مثل (على الناصية) و (جرب حظك) و (أوائل الطلبة) و (ساعة لقلبك)؛ كان كثيراً ما يعهد إلىّ بأدوار الرجل الصعيدى الذى تحدث له مفارقات عندما يصل إلى القاهرة ويتلقفه النصابون ويبيعون له الترومای.. وبمناسبة ذكر الراحل «أحمد طاهر» أقول إن الرجل كان إذاعيا من شعر رأسه إلى أخمص قدميه كما يقولون؛ فمنذ ثلاثينيات القرن الماضى كان يعمل فى الإذاعة البريطانية، وظل هناك إلى أن جاء إلى مصر ضمن من تركوا العمل فى الـ [بى بى سى] أيام المد الوطنى وإلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦، وقدم الرجل برامجه الجماهيرية التى لاقت استحساناً وقبولاً من المستمعين، فقد كانت شيئاً جديداً على إذاعة القاهرة.. والرجل يرحمه الله كان كتلة من النشاط والحركة والقدرة على العطاء حتى إنه كان يقدم أربعة برامج أسبوعياً هى (على الناصية) و (جرب حظك) و (ساعة لقلبك) و (أوائل الطلبة)، كما جاء بفكرة برنامج (الأسبوع فى ساعة) الذى كان يستعرض أهم الأحداث والبرامج واللقطات الإذاعية التى قدمت خلال الأسبوع المنصرم.. وظل الرجل يقدم برامجه الجماهيرية لمدة تزيد على السنة، الأمر الذى كان شديد الإرهاق له، وكان يرأس الإذاعة فى تلك الفترة الراحل «محمد أمين حماد» – وله حديث طويل فى هذه الذكريات – فرأى أن يُعين «أحمد طاهر» مراقباً عاماً للمنوعات يشرف عليها ويوجه من يقدمون برامجها، وبالتالى تفرقت برامج «أحمد طاهر» بين المذيعين؛ فكان (جرب حظك) من نصيب «طاهر أبو زيد»، و (أوائل الطلبة) من نصيب الراحل «عباس أحمد»، و (على الناصية) للراحل «إسماعيل عبد المجيد»، أما (ساعة لقلبك) فقد كان من نصيبى.. وبقى عمنا «أحمد طاهر» يراقبنا بحاسته الإذاعية ويرشدنا ويعلمنا، وكنت كلما التقيته أقول له: «وهكذا يا عم أحمد تفرقت برامجك بين القبائل» فكان يضحك ملء فيه ويقول لى كلاماً جميلاً مشجعاً كان يؤجج من حماسى ويضاعف من عزيمتى لتقديم المزيد من البرامج المنوعة..

مزاد سيارات الملك

كان أستاذنا «بابا شارو» يقول لنا ونحن فى مستهل عملنا بالإذاعة إن الإذاعى الحق هو الذى يدخل مطبخ الإذاعة ليقدم وجبات إذاعية للمستمع.. ويستطرد قائلا: «إن عليكم أن تعملوا الفكر من أجل تقديم برامج إذاعية تثرى الوجدان وتتفق مع جماهير الراديو، برامج تحقق للفرد منكم شخصيته الإذاعية.. وكان يقول أيضاً أن عمل المذيع عمل نمطى لا يخرج عن قراءة الأخبار وتقديم الإذاعات الخارجية، أما من يقدم برامج إذاعية فدوره خلاق ويعيش فى ذاكرة الناس خاصة إذا ما اتصف ما يقدمه من برامج بالجدة والطرافة وحل مشاكل الجماهير وإعطاء الفرصة للواعدين من الشباب سواء كانوا من هواة الفن أم الأدب عندما يقدم إنتاجهم عبر الميكروفون»..

واستوعبت هذا الكلام من أستاذنا وتحينت الفرصة لتقديم برامج إذاعية.. وفى صبيحة أحد الأيام قرأت أن مزاداً لسيارات الملك السابق سيتم فى جراج السيارات الملكية الملحق بقصر عابدين.. واستهوتنى الفكرة وقلت بينى وبين نفسى إن تقديم صورة صوتية عن هذا المزاد وإجراء حوارات مع القائم على أمر المزاد وعلى من سيرسو عليهم مزاد هذه السيارات سيكون شيئا طريفا تبدو فيه عبرة الأيام وتقلبها، فهذه السيارات التى كانت مصونة لا تمس ستئول ملكيتها لمن سيرسو عليه المزاد من عامة أبناء الشعب.. وعلى الفور همست بالفكرة إلى الراحل «حسنى الحديدى» كبير المذيعين الذى استحسن الفكرة، وقمت بحجز جهاز التسجيل وصاحبنى مهندس الصوت واتجهنا إلى سراى عابدين و (ألا أونا ألا تريا) سار المزاد وسجلت لقطات منه وحاورت من رسا عليهم مزاد بعض العربات وسجلت مشاعرهم وهم على وشك أن يستقلوا السيارات التى كانت مخصصة للملك وحاشيته، وعدت بسرعة إلى ستوديو الإذاعة وقمت بعمل مونتاج للبرنامج الذى بلغت مدته عشر دقائق، وأذيع البرنامج عقب نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف ظهراً، واستحسنه أساتذتى الذين استمعوا إليه، وكان ذلك مدعاة لسرورى..

ولعل ذلك الحب لتقديم برامج إذاعية هو الذى أعطانى القدرة على أن أقدم بداية من سنة ١٩٥٤ أكثر من برنامج أسبوعى.. كانت البداية برنامج (مجلة الهواء) الذى بدأت تقديمه مع زميلنا – رحمه الله – الأستاذ «سعد لبيب» وكانت (ترويسة) البرنامج تقول: مجلة الهواء، مجلة أسبوعية تسمع ولا تقرأ وتقع فى ٣٠ دقيقة».. وأشهد أن فكرة هذا البرنامج كانت من نتاج عقل أستاذنا الراحل «إحسان عبد القدوس»..

إحسان عبدالقدوس ومجلة الهواء ..

ففى أحد أيام شهر مارس سنة ١٩٥٤ استدعانى الراحل «محمد أمين حماد» رئيس الإذاعة وقتها وقال لى إنه يعد لى مفاجأة، وهى أن أقوم بتقديم برنامج إذاعى يكون على غرار المجلات الصحفية المقروءة، ولكن يختلف عنها فى أنه سيكون مسموعا.. بمعنى أن تكون له صورة غلاف ومقدمة إضافة

إلى صفحات فيها الخبر والريبورتاج والقصة القصيرة والفن والغناء وغير ذلك مما يمكن تقديمه بالصوت الذى هو المادة الرئيسية فى العمل الإذاعى.. واستطرد الرجل يقول إن علىّ أن ألتقى بالأستاذ «إحسان عبدالقدوس» لكى أناقش معه الموضوع لأنه صاحب الفكرة.. كان أستاذنا «أمين حماد» والذى سأخصص لـه أكثـر من جانب فى هذا السـجل يجاهد من أجل تقديم الجديد فى الإذاعـة وله فى ذلك صولات وجـولات علـى رغم أنه لم يكن من الإذاعيين بل جاء من سـلك القضاء، ومع ذلك فإنه عشـق الإذاعة عشـقاً لا حدود له وفى عهده تطورت الإذاعة المصرية تطوراً كبيراً.. وذهبت إلى مبنى دار روزاليوسـف القديم بالقرب من ضريح سـعد زغلول وطلبت مقابلة رئيس التحرير الذى اسـتقبلنى ببسـمة عريضة وترحاب شديد أزال ما كان يعترينى من خوف وأنا قادم لمقابلة صحفى كبير هو «إحسان عبدالقدوس».. وتحدثنـا عـن فكرة المجلة الإذاعية وكيف أنها سـتكون لوناً من ألوان الصحافة الإذاعية التى تسـاير الأحداث وتقدم الموضوعات الساخنة وتلتقى بمشاهير الأدب والفن والثقافة وترعى المواهب البازغة وتقدم نماذج الناجحين فى مختلف دروب الحياة.. واسـتوقفتنى جملة باللغة الإنجليزية مكتوبة على سـطح مـن الزجاج ومعلقة على حامل بحيث يقرؤها كل من يدخل مكتب الأسـتاذ إحسـان، الجملة معناها (إنه إذا لم يكن لديك ما تود أن تقوله أو تفعله فمن الأحسـن لك ألا تزعجنى).. وقد اتخذت من هذه الجملة نبراسـاً لى فى حياتى وأحمد الله على ذلك.. نهاية القول أننى إتفقت مع الزميل «سـعد لبيب» على تقديم البرنامج، واعتصرنا فكرنا لكى نجد له تسـمية نطلقها عليه، واسـتعرضنا أسماء كثيرة منها (مجلة الموجة) و (مجلة الذبذبة) و (مجلة الميكروفون) إلى أن استقر الرأى على اسم (مجلة الهواء)، وهو البرنامج الذى ظللت أقدمه على مدى ثلاثين عاماً، وأشـهد أنه وجد صدى فى نفوس السـامعين، فقد كان جديداً فى فكرته متنوعاً فى صفحاته فى زمن كان الراديو فيه هو سـيد وسـائل الاتصال، بل كان الوسيلة الأولى للتثقيف والترفيه وإثراء الوجدان وإسعاد القلوب..

مديرون ومشرفون ..

عندما التحقت بالإذاعة سـنة ١٩٥٠ كان مديرها العام الأسـتاذ «محمد بك قاسـم»، وهو الذى وقع الأمـر الإدارى بتعيينى وزملائى بالإذاعة مؤرخاً بالأول من مايو من تلك السـنة.. وكان الرجل شـقيقا لـ«حسن حسنى بك» سكرتير خاص جلالة الملك.. وكان يعمل أصلاً بوزارة الشئون الاجتماعية، وعندما ألغـى عقـد إدارة ماركونى للإذاعة سـنة ١٩٤٧ صدر القرار بتبعية الإذاعة لوزارة الشـئون الاجتماعية وجاءوا بـ «محمد بك قاسـم» مديراً لها، وعقب مجىء وزارة الوفد إلى الحكم فى مسـتهل سـنة ١٩٥٠ أصبـح الدكتـور «حامد زكى» وزير الدولة المشـرف على الإذاعة وأصبح بحكم منصبه رئيسـا للمجلس الأعلى للإذاعة.. وحدث من الأمور ما أدى إلى خروج «محمد بك قاسم» من عمله كمدير للإذاعة وجاءت وزارة الوفد بالأستاذ «حسنى بك نجيب» الذى كـان مديراً لاستوديو مصر – وهو بالمناسبة شقيق الفنان «سليمان بك نجيب» – وعينته مديراً للإذاعة، ثم عندما جاءت الثورة كان لزاماً أن تأتى بواحد من أهل

ثقتها لكى يدير المرفق الذى كان له دوره الكبير فى تثبيت أركان الثورة.. وكان أن تسلم مقاليد الإذاعة الأميرالاى «محمد كامل الرحمانى»، ولكن الرجل لم يعمر طويلاً، فبعد شهور قليلة وعندما أصبح السيد «صلاح سالم» عضو مجلس قيادة الثورة وزيراً للإرشاد القومى نقل «الرحمانى» إلى وزارة الخارجية وجاء بالأستاذ «محمد أمين حماد» الذى كان قاضياً وكان يرأس الرقابة على الصحف وكان أثيراً عند «صلاح سالم».. ويعتبر الأستاذ «محمد أمين حماد» واحداً من بناة الإذاعة العظام، فمنذ الوهلة الأولى لمجيئه مديراً للإذاعة وهو يجاهد من أجل أن تتطور الإذاعة وتقدم برامج جديدة، وفى سبيل ذلك كان الرجل يحضر إلى مكتبه فى الثامنة والنصف صباحاً ولا يغادره إلا بعد أن يطمئن على نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف ظهراً، ثم يعود إلى مكتبه فى الخامسة ليظل موجوداً به إلى ما بعد الاطمئنان على نشرة أخبار الساعة الحادية عشرة مساءً، وكان لا يعرف معنى الإجازة، فهو فى مكتبه أيام الجمع وفى الأعياد والعطلات الرسمية، ولم نسمع أنه سافر إلى المصيف ليقضى إجازة الصيف، وأزعم أنه لم يسافر خارج مصر إلى مؤتمر إذاعى بل كان همه الأول والأخير أن يقبع فى مكتبه يدير الإذاعة..

وبحكم كونه قاضياً كان لا يعطى الحق إلا لمن يستحقه، صحيح أنه كان شحيحاً فى مكافأة المجيدين ولكنه كان يكافئ بقدر معلوم.. مثلا ظللت أكثر من عامين أقدم التعليق على مباريات الدورى العام لكرة القدم دون أن أتقاضى أية مكافأة أو أجرا إضافيا على رغم أننى كنت أقدمه أيام الجمع وهى الإجازة الأسبوعية، وبالصدفة البحتة علمت أن زملائى فى مراقبة الأخبار ممن يكتبون التعليقات السياسية يتقاضى الواحد منهم خمسين قرشا عن الدقيقة، والتعليق كان مدته خمس دقائق، أى إن من كان يكتب تعليقاً سياسياً كان يتقاضى مبلغ جنيهين ونصف الجنيه ؛ فتقدمت بطلب لـ «أمين حماد» وقلت له إننى أبذل مجهوداً فى تقديم التعليق وأحضر يوم الجمعة لتقديمه فأرجو معاملتى مادياً مثل زملائى فى مراقبة الأخبار ممن يكتبون تعليقات سياسية.. ونظر إلىّ الرجل ملياً من تحت نظارته وكأنه يقول لى: من أين لك علم بما يتقاضاه زملاؤك فى مراقبة الأخبار!؟.. كان التعليق الرياضى قد أخذ مكانة رائعة فى نفوس عشاق كرة القدم وكان الكثيرون يشيدون به ويحدثون رئيس الإذاعة عنه حديثاً طيباً ولم يجد الرجل بداً من الموافقة على طلبى.. وقد بلغ من شغف «أمين حماد» بالعمل الإذاعى أن كان يطلب من زملائه من رجال القضاء ومن الكتاب ورجال الصحافة أن يفكروا معه فى برامج جديدة تتضمنها الخريطة الإذاعية، وما فكرة (مجلة الهواء) التى اقترحها له «إحسان عبدالقدوس» إلا نتيجة لدأب «أمين حماد» ورغبته فى تطوير الإذاعة، وكان يشجع أية فكرة جديدة حتى إننى عندما قلت له إن لى رغبة فى تقديم برنامج رياضى أسبوعى حيث كانت تخلو خريطة البرامج من هذه النوعية من البرامج، وافق على الفور بل وأمر بأن أنفذ البرنامج فى أقرب وقت دون انتظار لدورة جديدة من دورات البرامج التى تتحدد كل ثلاثة أشهر.. وأقول أيضا إنه – يرحمه الله – صاحب فكرة التعليق على مباريات الدورى العام لكرة القدم، وهو البرنامج الذى أعتقد أنه كان محطة مهمة من محطات رحلتى

الإذاعية والذى لا يزال الكرويون وعشاق الكرة يتذكرونه على رغم أننى توقفت عن تقديمه سنة ١٩٨٢.. والحديث عن المرحوم «محمد أمين حماد» يطول ويطول..

سنوات الإبداع الإذاعى ..

تعتبر سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى قمة توهج جيلنا نحن الإذاعيين الذين التحقنا بالإذاعة فى مطلع الخمسينيات، فقد كانت البرامج الإذاعية التى قدمها هذا الجيل من أجمل ما قدمت الإذاعة خاصة البرامج الجماهيرية التى لا تزال لها ذكرى طيبة لدى كل من عاصروها واستمعوا إليها.. (جرب حظك) مثلاً الذى قدمه باقتدار الزميل «طاهر أبو زيد» أمد الله فى عمره ومتعه بالصحة والعافية، (أضواء المدينة) الذى أشرف عليه وقدمه الراحل «جلال معوض» وكيف كانت سهراته فى المحافظات تعتبر عيداً تفرح به المحافظة التى يقام فيها الحفل، (أوائل الطلبة) الذى قدمه الراحل «عباس أحمد» وكيف كان مجالاً لبروز أوائل المدارس من الطلبة المتميزين، (على الناصية) الذى قدمه الراحل «إسماعيل عبدالمجيد» ثم الزميلة العزيزة «عواطف البدرى» ثم أخيراً الزميلة «آمال فهمى» والذى لايزال يقدم حتى هذه اللحظة، ثم (ساعة لقلبك) الذى قدمته لمدة عشر سنوات وكان نافذة أطل منها كوكبة من نجوم الكوميديا حققوا ذواتهم عن طريق هذا البرنامج، إضافة إلى برامج أخرى قدمها زملاء أعزاء مثل (عشرين سؤال) لكامل يوسف.. وكلها كانت تعتمد على التجمع الجماهيرى لمشاهدتها أثناء التسجيل.. وأذكر فى هذه المناسبة أن الراحل «محمد أمين حماد» رئيس الإذاعة كان يستحثنا ويشجعنا بأسلوبه الرفيع وكلماته الطيبة وكنا جميعا نتسابق فى روح رياضية وينقد بعضنا بعضاً فى أخوة ومحبة ونتقابل معاً ليقول كل منا رأيه فى برامج الآخرين.. لقد بلغ من جماهيرية هذه البرامج أن ضاق بها ستوديو رقم (١) بمبنى ستوديوهات شارع علوى حيث اشتد طلب الجمهور لحضور تسجيل هذه البرامج؛ فاستأجرت الإذاعة مسرح الريحانى بشارع عماد الدين لتسجيل هذه البرامج على خشبته فى فترة ما بعد الظهر على مدى ثلاث ساعات من الثالثة عصراً وحتى السادسة مساءً، وكانت الإذاعة تطبع دعوات لحضور تسجيل هذه البرامج، وكنا من شدة الزحام أمام مسرح الريحانى نستدعى شرطة النجدة لتنظيم الدخول إلى المسرح، وكان من يحصل على تذكرة دعوة يحضر معه بعض أصدقائه، وكم من مشاجرات كانت تحدث أمام المسرح عندما يصر موظفو العلاقات العامة بالإذاعة على دخول من يحمل تذكرة دعوة بمفرده لصالة المسرح دون أن يصطحب أحداً من أصدقائه حتى ولو كان من موظفى الإذاعة، أكثر من ذلك فإن مسرح الريحانى ضاق بالجمهور كما أن إدارة المسرح خشيت على أثاث المسرح وكراسيه من عبث البعض من الجمهور فأخطرت الإذاعة برغبتها فى فسخ عقد الإيجار، فما كان من الإذاعة إلا أن استأجرت مسرح (الهوسابير) الذى يتسع لأكثر من ٧٠٠ متفرج لكى تسجل فيه هذه البرامج.. وإذا ما تحدثت عن برنامج (ساعة لقلبك) الذى عهد إلىّ بتقديمه فإننى أتحدث عن الجهد المضاعف الذى كنت أبذله فى سبيل تقديم نصف ساعة أسبوعياً وكيف كان ذلك الأمر شديد الإرهاق

حيث كنت أقوم بتسجيل حوالى ساعتين من الفقرات على خشبة المسرح ولا أقدم منها إلا الفقرات التى تلقى الاستحسان والتصفيق والضحك من جماهير المسرح.. لقد كان هذا البرنامج يلقى استماعاً كثيفاً من الجماهير لا فى مصر فحسب ولكن فى أنحاء عالمنا العربى.. وبهذه المناسبة أقول إن الملك «سعود» – يرحمه الله – زار مصر سنة ١٩٥٥ واستدعانى السيد «أمين حماد» وقال لى إن جلالة الضيف يطلب أن يستمع إلى نجوم (ساعة لقلبك) وأن هناك رحلة نيلية سيقوم بها جلالته على ظهر باخرة تقله من أمام فندق سميراميس القديم حتى القناطر الخيرية، وأنه خلال هذه الرحلة يريد أن يرفه عن نفسه بالاستماع إلى نجوم (ساعة لقلبك).. قلت لرئيس الإذاعة – والمولى عز وجل شاهد على ذلك – إننى لست متعهد حفلات.. وقال الرجل: «حاشا الله يا ابنى بس أعمل إيه دى رغبة للملك ومانقدرش ما نلبيهاش».. ولا أطيل فقد صممت على عدم الذهاب إلى الرحلة، وقام الراحل «يوسف عوف» بتجميع بعض النجوم مثل «حسين الفار» و «سلطان الجزار» و «أحمد الحداد» وغيرهم من النجوم وذهبوا فى رحلة النيل وقدموا فقراتهم الضاحكة للملك الذى أبدى رغبته فى أن يصحبه البعض منهم فى رحلة العودة إلى السعودية بالباخرة، وسافروا معه بالفعل وأدوا مناسك العمرة وعادوا سالمين غانمين..

الله أكبر ودع سمائى !!..

كانت الإذاعة صاحبة أدوار عديدة وإيجابية فى مسيرة الوطن، مثلاً دورها مع الثورة كان رائعاً وفعالاً، فقد تفنن الإذاعيون من جيل الخمسينيات فى تقديم البرامج والأغنيات التى رسخت مبادئ الثورة فى الأذهان حتى دخلت الثورة فى كل قاعة وكل «خص» كما تقول الأغنية الشهيرة والتى غناها محمد قنديل والتى مطلعها: (ياللى فى قاعة ويالللى فى خص.. قوم دى الساعة ثمانية ونص، والراديو عمال بيرص، من الأخبار قلبك يتهنى).. إلى آخر الأغنية التى رددها الميكروفون عقب قيام الثورة.. وأزعم أن دور الإذاعة فى معركة بورسعيد أثناء العدوان الغاشم سنة ١٩٥٦ كان دوراً شديد الفعالية، يكفى نشيد (الله أكبر) الذى سجلته الإذاعة وأذاعته يوم العدوان وكيف ألهب حماس الجماهير، بجانب أغنيات عديدة قدمتها الإذاعة كان لها فعل السحر وتأجيج المشاعر الوطنية، مثل أغنية (دع سمائى فسمائى محرقة، دع مياهى فمياهى مغرقة) للفنانة «فايدة كامل»، ثم البرامج العديدة التى قدمناها نحن المذيعين والتى حاورنا فيها الجماهير فى الشارع والمصنع والمدرسة والجامعة وحتى ربات البيوت فى منازلهن، والتى أبرزت روح الفداء التى تحلى بها الجميع.. وأذكر أنه عندما أغارت طائرات العدو على محطات الإرسال فى أبو زعبل وتوقف البث الإذاعى أحسسنا جميعا بأننا أصبحنا يتامى، ولى مع تلك الساعات ذكريات لا تنسى : كان يوم الثانى من نوفمبر سنة ١٩٥٦ وهو اليوم الذى ألقى فيه العدو قنابله على محطات الإرسال يوافق يوم جمعة، ولكننا كنا جميعاً بالإذاعة بدءًا من التاسع والعشرين من أكتوبر عندما بدأ العدوان الثلاثى، وفى العاشرة والنصف من صباح ذلك اليوم إستدعانى السيد «أمين حماد» رئيس الإذاعة وكان معه فى مكتبه الزميل «أحمد سعيد» وقال إن عليكما أن تتوجها إلى

مبنى مجلس الوزراء وهناك ستجدان محطة إرسال صغيرة، وعليكما أن تذيعا عبارات للناس فى القاهرة تستحثونهم بها وترفعون من روحهم المعنوية.. كانت محطة الإرسال صغيرة القدرة وكانت سترسل إلى المجاهدين الجزائريين أثناء ثورة المليون شهيد، ولما توقف الإرسال بسبب غارات العدو على أبو زعبل رأى المسئولون تركيب هذه المحطة وكانت فى مخزن على سطوح مبنى مجلس الوزراء، وذلك إلى أن يقوم المهندسون بإصلاح ما أصيب من صوارى إرسال أبو زعبل.. وذهبت مع الزميل «أحمد سعيد» على الفور وكان هناك أحد الزملاء من مهندسى الإذاعة، وبدأنا فى إذاعة عبارات حماسية، منها (يا أهل القاهرة إذاعتكم بخير ونحن معكم) ثم كلام عن المعتدى الأثيم ووصفه بأقذع الأوصاف.. وهنا تفتق الذهن عن فكرة جعلت أغلب جماهير القاهرة تستمع إلينا، فقد تحدثت من تليفون مجلس الوزراء مع الأصدقاء الذين أعرفهم لكى يحركوا مؤشر الراديو حتى يلتقطوا أصواتنا، ورجوتهم أن يتصلوا بمعارفهم لكى يلتقطونا، وقلت لهم إن على معارفهم وأصدقائهم أن يتصلوا بمعارفهم وأصدقائهم وهكذا، وأزعم أنه لم تمض نصف ساعة حتى كانت أغلب جماهير القاهرة تستمع إلى إرسالنا.. وحوالى الساعة الثانية عشرة والنصف عاد الإرسال إلى محطة أبو زعبل وعدت مع الزميل «أحمد سعيد» إلى مبنى الإذاعة بعد أن ظللنا قرابة ساعة ونصف الساعة لا نهدأ من الكلام خلال ميكروفون هذه المحطة التى لا تزيد قوتها على كيلووات.. وبالطبع لن يُنسى دور الإذاعة فى مناسبة من أعز المناسبات الوطنية وهى مناسبة تأميم الرئيس عبدالناصر لقناة السويس؛ فقد قام ميكروفون الإذاعة بإلهاب مشاعر المواطنين عندما قام بتغطية رائعة لخطاب الرئيس وما قدمه من برامج ولقاءات مع جماهير المواطنين مسجلا وباثًّا للفرحة التى تملكت النفوس، وكيف استقبلت ستوديوهات الإذاعة الفنانين وعلى رأسهم سيدة الغناء العربى «أم كلثوم» التى سجلت أغنيتها الرائعة (ياولاد بلدنا تعالوا ع الضفة) التى لحنها «محمد الموجى» وكانت أول لقاء له مع أم كلثوم، كذلك جاء الشعراء والمتحدثون وأساتذة التاريخ ليقدموا إنتاجهم الشعرى والأدبى فى مناسبة التأميم التى أشاعت فى النفوس فرحة وسعادة ما بعدهما فرحة وسعادة..

ولن أنسى ما حييت تلك اللحظات التى أشار علىّ خلالها الصديق العزيز «عبد الرحمن فهمى» الكاتب الصحفى والناقد الرياضى الكبير بأن أقدم برنامجاً فى الإذاعة يتناول عرض الأحداث الرياضية ويتحدث عن الأبطال الرياضيين وتاريخهم ويستعرض الأحداث الرياضية العالمية.. كان ذلك فى أحد أيام شهر مارس سنة ١٩٥٤ وكنا جلوسا فى المدرج الخشبى الخاص برجال الصحافة الرياضية بملعب النادى الأهلى، كان أساتذتنا فى عالم الصحافة الرياضية فى تلك الأيام الذين أذكر منهم الخال «محمد شميس» و «إبراهيم علام جهينة» وابنه «أحمد-علام» و «كامل المنياوى» و «نجيب المستكاوى» و «أحمد عبدالله» و «صلاح المنهراوى» وغيرهم ممن لا تعيهم الذاكرة الآن، كانوا جميعا يتجمعون فى هذا المدرج يتابعون مباريات كرة القدم، وكان الزميل «عبد الرحمن فهمى» أمد الله فى عمره يكتب النقد الرياضى فى جريدة الجمهورية.. وبينما نحن نشهد واحدة من مباريات الكرة قال لى «عبد الرحمن فهمى» إن

برامـج الإذاعـة ليس من بينها برنامج رياضـى فلماذا لا تقدم مثل هذا البرنامج وأنت عاشـق للرياضة ومحب لأحدائها وفعالياتها..

كان يجلس إلى جوارنا فى مقصورة الصحافة بالنادى الأهلى الراحل «عبد المنعم السباعى» وكان فى ذلك الوقت يشغل منصب (أركان حرب الإذاعة) وهو المنصب الذى زرعته الثورة فى كثير من الهيئات وكان فـى نفـس الوقت يكتب نقداً رياضيا ينشـره فى مجلة روزاليوسـف، فوجد اقتراح «عبد الرحمن فهمى» صدى فى نفسـه وشـجعنى على تقديم مثل هذا البرنامج، ولم أتوانَ لحظة فى تحقيق ما أرهص بـه الصديق «عبد الرحمن فهمى» فكتبت عدة سـطور تقدمت بها للسـيد «أمـين حماد» رئيس الإذاعة أرجو فيها أن تتضمن خريطة برامج الإذاعة فى الدورة الإذاعية الجديدة فى مطلع شهر أبريل برنامجاً رياضيا وأسميته (الرياضة فى أسبوع) وعلى الفور وافق السيد «أمين حماد» مع إشفاقه علىَ حيث كنت فى نفس الوقت أقدم برنامج (مجلة الهواء) وبرنامج (سـاعة لقلبك) إضافة إلى تنفيذ فترتى إذاعة على الهواء باعتبارى مذيعاً فى قسم المذيعين، أكثر من ذلك فإن الرجل – وقد لاقى الاقتراح الخاص ببرنامج رياضى هوى فى نفسه باعتباره أمراً جديداً على خريطة الإذاعة – فإنه أمر بأن أقدم البرنامج فى نفس الأسبوع ووضع البرنامج ومدته ربع ساعة فقط عقب نشرة الساعة الخامسة مساء الاثنين من كل أسبوع.. واتفقـت مع زميلى الإذاعى الراحل «صـلاح زكى» على أن نقدم البرنامج معاً، وإن كان «صلاح» رحمه الله لم يستمر معى فى تقديم البرنامج إلا لمدة أسابيع فقط فأصبحت أقدمه بمفردى.. وكان هذا البرنامج هـو اللبنـة الأولى فى صرح البرامج الرياضية التى أصبحت لها شـبكة خاصة تبث على مدار السـاعة يوميـا وأصبـح لها كتيبة ضخمة من المذيعين ومقدمى البرامج يزيد عددهم على مائتى فرد من الشـباب والشـابات.. واستقبل الوسط الرياضى البرنامج بترحاب شديد، حيث كان أشبه بالمفاجأة بالنسبة لكل أبناء الحقل الرياضى حين شـاهدوا ميكروفون الإذاعة يتجول فـى الأندية ويلتقى بالرياضيين والنجوم من اللاعبين ويقدم النشـاط الرياضى فى الاتحادات الرياضية واللجنة الأوليمبية ويزور مراكز الشـباب الجديدة التى أنشـأتها الثورة بعد أن تشكل المجلس الأعلى للشباب والرياضة.. واتسعت دائرة النشاط الرياضـى الإذاعـى عندما أخذت الإذاعة تقـدم الوصف التفصيلى لمباريات كرة القـدم.. حقيقة كانت الإذاعة تقدم هذا الوصف من قبل ولكنه فى الأغلب الأعم كان قاصرا على المباريات الدولية وعلى مباراة كأس مصر التى كانت تسـمى قبل الثورة كأس الملك فاروق.. وكان المرحوم «أمين حماد» محباً للرياضة وكان يعشـق الزمالك، ولذلـك رأى أن يقدم ميكروفون الإذاعة مباريات الدورى العام، ولعل الشـعبية الجارفـة التى اكتسـبتها كرة القدم جاءت من خلال نقل الميكروفـون لمبارياتها حيث تعرف الناس إلى تعليقات المرحوم «محمود بدر الدين» والكابتن «محمد لطيف» و «حسـين مدكور» و «عبد المنعم الديب» رحـم الله الجميع.. وفى مطلع سـنة ١٩٥٥ بدأت الإذاعة تقدم برنامـج التعليق على مباريات الدورى العام، وهو البرنامج الذى لا يزال يعيش – كما أزعم – فى وجدان الجماهير على رغم أننى توقفت عن تقديمه منذ ١٩٨٢..

الفصل الرابع

أيها «الستارة»

الآن ترتفع «السادة» عن كوكب الشرق أم كلثوم !!

أزعم أن برنامج التعليق على مباريات الدورى العام لكرة القدم أحدث «فرقعة» فى الوسط الرياضى وكان له وقعه الكبير فى نفوس عشاق كرة القدم وتعلق الناس بالدقائق الخمس التى كانت هى مدة هذا البرنامج الذى كان يذاع فى الساعة السابعة وخمس دقائق يوم الجمعة والأحد من كل أسبوع كان بريد البرنامج الذى يصلنى من السامعين يحمله فراش المكتب فى زكيبة وكل الرسائل كانت تقرظنى فالأهلاوى من أصحاب الرسائل يقول كلاما جميلاً فى حقى عندما أمجد الأهلى بعد أن يحرز الفوز بأهداف غزيرة فى مرمى المنافس والزملكاوى يتهمنى بالتحيز للأهلى إذا ما قلت كلاما جميلا فى حق الأهلى ونفس الأمر كان يحدث من الأهلاوية عندما أتحدث عن عروض مدرسة الفن والهندسة أما مشجعو أندية الأقاليم فكانوا يقدمون شكرهم لأن البرنامج أشاد بأداء لاعبى أندية المصرى أو الاتحاد أو الإسماعيلى أو غزل المحلة وهكذا وكان للبرنامج مراسلوه فى الأقاليم الذين تطوعوا لتغذية البرنامج بأخبار المباريات دون أن يتقاضوا أجرا خاصة بعد أن أصبحوا نجوما معروفة حيث كان البرنامج يقدم أسماءهم قبل ذكر الخبر الوارد منهم عن نتيجة المباريات وأصبحت أسماء محمود شعيب من دمياط وفتحى سباق من السويس وخليل المغربى من الإسكندرية ومنصور شعلان من كفر الشيخ وأحمد عبدالمهيمن من طنطا وأبو شامية من المحلة من الأسماء اللامعة فى سماء كرة القدم فى الأقاليم وسعدت أنا بهذه الشعبية الجارفة التى حظى بها البرنامج كما كانت سعادة رئيس الإذاعة السيد أمين حماد مضاعفة حتى إننى عندما رجوته أن يخصص لى خطا تليفونيا خاصا فى مكتبى وبه خاصية الترنك لسرعة طلب المراسلين فى الأقاليم، لم يتأخر الرجل وأمر بتركيب جهاز تليفون فى مكتبى وكنت الوحيد من بين أقرانى ممن لديهم هذه الميزة، ولعل السبب فى جماهيرية هذا البرنامج، أن الدورى العام كان منتظما وكانت تقام يوم الجمعة خمس من مبارياته ويوم الأحد اثنتان ولم تكن وسائل الاتصال بمثل ما هى عليه الآن ولم تكن الإذاعة تقدم الوصف التفصيلى إلا لمباراة واحدة فقط تقام بالقاهرة إما للأهلى مع طرف آخر وإما للزمالك مع منافس من المنافسين وكانت الجماهير تريد أن تتعرف إلى نتائج باقى المباريات وهذا ما كان يقدمه البرنامج مع تحليل موجز لموقف هذا النادى أو ذاك فى جدول المسابقة إضافة إلى بعض الجمل التى كانت أشبه بالفلفل والشطة حتى نعطى نكهة مميزة للمسابقة وإذا كان التعليق على مباريات الدورى

العالم قد جعلنى والحمد لله فى بؤرة النشاط الكروى فإن البرنامج الرياضى الذى كنت أقدمه كل أسبوع ولمدة ربع ساعة فقط منحنى قاعدة معارف متسعة وواسعة فقد عرفت من خلاله المسئولين عن الرياضة فى اللجنة الأولمبية والاتحادات الرياضية وعرفت أبطال اللعبات الأخرى مثل السلة والسباحة والملاكمة ورفع الأثقال والمصارعة وغيرها من اللعبات الأخرى بحكم ما كنت أسجله لهم من أحاديث عن تاريخهم الرياضى والبطولات التى حققوها.

الدورات الأولمبية حول العالم ..

ومن خلال البرامج الرياضية صاحبت الفرق الرياضية المصرية وهى تتنافس فى الملاعب الخارجية لكى أقدم ريبورتجات إذاعية عن نشاطها ولقاءاتها وإذ أتذكر كل ذلك فإننى أقول إن البرامج الرياضية أعطتنى ما لم يكن يدور بخيالى فمن خلال عملى بها قمت بالتغطية الإذاعية لست دورات أولمبية بدءا من روما عام ١٩٦٠ ومرورا بطوكيو عام ٦٤ والمكسيك ٦٨ وميونيخ ٧٢ ومونتريال ٧٦ ثم انتهاء بدورة لوس أنجلوس عام ١٩٨٤ ونفس الأمر ينسحب على دورات البحر المتوسط بدءا ببرشلونة عام ١٩٥٥ ومرورا ببيروت عام ٥٩ ونابولى ٦٣ وأزمير ١٩٧١ وسبليت ١٩٧٩ وانتهاء بدورة الرباط عام ١٩٨٣ وصاحبت الفرق القومية لكرة القدم عسكرية ومدنية إلى العديد من بلدان العالم وجبت معها قارة إفريقيا وأذعت مباريات فى كأس أمم إفريقيا بدءاً من أول كأس ١٩٥٧ بالخرطوم ثم القاهرة ٥٩ ثم إثيوبيا عام ٦١ ثم غانا ١٩٦٣ وكذلك الدورات الرياضية الإفريقية فى نيجيريا والكونغو والجزائر كل ذلك جعلنى أقاتل من أجل مزيد من الوقت المخصص للبرامج الرياضية وأحمد الله أننى نجحت فى هذا الميدان ومن ربع ساعة رياضة ١٩٥٥ أسبوعيا إلى شبكة للرياضة تبث على مدار الساعة يوميا، سأظل على الدوام أتذكر وأذكر مجاهدتى فى سبيل أن تقدم الإذاعة المزيد من البرامج الرياضية فقد كنت شديد الإيمان بأن الرياضة وفلسفتها وسيلة من أهم وسائل التربية فهى تكسب الإنسان نشاطا وحيوية وتلقنه أصول الروح الرياضية والتمسك بالخلق الرياضى حيث التسامح ونكران الذات وذوبان الفرد فى سبيل الجماعة ولكى تنتشر الرياضة ومراكزها وملاعبها فى أنحاء الوطن فلابد من أن يكون هناك إعلام يتحدث عنها ويقوّم نشاطاتها ويحكى تاريخها ويتحدث عن إنجازاتها وألححت فى سبيل ذلك فما كان من السيد أمين حماد رئيس الإذاعة يرحمه الله.. إلا أن استجاب لرغبتى فقدمت برنامج «دنيا الرياضة» فى إذاعة ركن السودان لنتحدث من خلاله عن الروابط الرياضية التى تربط البلدين وتعطى للمجتمع هنا وهناك صورا صوتية عن النشاط الرياضى فى البلدين وكان هذا البرنامج مدته عشر دقائق فقط أسبوعيا ثم كان البرنامج الثالث فى إذاعة الشعب تحت عنوان «الرياضة فى بلدنا» ويتحدث عن نشاط الأقاليم فى المجال الرياضى والتنافس بين المحافظات فى مختلف المسابقات الرياضية خاصة ما كان يعرف بمباريات كأس الرئيس عبدالناصر التى تتنافس عليه محافظات مصر، ووجه هذا البرنامج همه إلى التعريف بالخامات الرياضية فى الأقاليم وما يحتاجونه من إمكانيات إضافية إلى نقل بعض

المنافسات الرياضية على الهواء.. وأرهصت بعد ذلك بأن تكون هناك مراقبة مركزية للبرامج الرياضية تتبع مدير عام البرامج حيث كان المسئولون بإذاعة الشعب وإذاعة ركن السودان يضعون بعض العوائق مثل عدم ثبات موعد إذاعة البرامج الرياضية أو إلغاء البرنامج إذا كانت هناك مادة يريد رئيس أحد هاتين الإذاعتين أن يضعها على الخريطة، ولكن بابا شارو يرحمه الله عندما كان مديراً عاما للبرامج قرر إنشاء هذه المراقبة حيث كان هو الذى يعتمد خريطة البرامج وبالتالى لا يستطيع أى مسئول فى البرنامج العام أو إذاعة الشعب أو ركن السودان أن يغير أو يبدل فى موعد الإذاعة أو المادة المذاعة وهنا أذكر فضل الرياضة على مستقبلى.. بعد فضل المولى عز وجل فعن طريقها أصبحت فى درجة مدير عام عندما جاءت حركة الترقيات وأنشأت الإذاعة فى هيكلها إدارة عامة للرياضة خصيصا من أجل أن أعين على درجتها ولكن النقلة الكبرى للبرامج الرياضية جاءت على يد الدكتور كمال أبو المجد عندما حل وزيرا للإعلام عام ١٩٧٥ كنت على صلة طيبة بسيادته وهو رئيس للمجلس الأعلى للشباب والرياضة ووزير للشباب بحكم ما كنت أقوم به من نشاط إعلامى رياضى يتناول مجريات الأمور فى وزارة الشباب وحدث فى عام ١٩٦٩ أن سافرت إلى ما كان يسمى بألمانيا الشرقية لحضور مهرجانات الشباب فى مدينة ليبزج وهناك عرفت أن ألمانيا الشرقية تخصص موجة خاصة تبث عليها الأنشطة الرياضية والشبابية على مدى ست عشرة ساعة يوميا وكيف أن ميكروفون هذه الإذاعة ينتقل فى أماكن الأنشطة الرياضية والشبابية طوال اليوم فمن مدينة معينة ينقل مباراة لكرة القدم ثم من مدينة أخرى ينقل نشاطا فنيا لتلاميذ مدرسة من المدارس ثم يطير الميكروفون ليقدم بطولة فى السباحة أو الملاكمة وهكذا وعندما عدت من ألمانيا اختمرت الفكرة فى ذهنى وكنت أرهص بها للمسئولين فى الإذاعة وفى وزارة الشباب ولكنها وجدت إصغاء تاما من الدكتور كمال أبو المجد إلى أن جاء وزيراً للإعلام وذكرته بما كان يدور بيننا من أحاديث حول تخصيص إذاعة للشباب والرياضة واستجاب الرجل وبدأنا فى تقديم إذاعة الشباب لمدة ساعتين يوميا اقتطعتا من إرسال إذاعة ركن السودان ولكنى للأسف لم أشارك فى برامج هذه الإذاعة لاختلاف الرؤى بينى وبين من أوكل إليه أمر إدارتها بحكم الأقدمية فقد أصر على أن تكون برامجها خالية من أى نشاط رياضى إلا إن الدكتور كمال أبو المجد ترك منصبه كوزير للإعلام وظل الأمر كذلك إلى أن ترك المسئول عن إذاعة ركن السودان موقعه ورأى المسئولون فى الإذاعة أنه لكى تتم رسالة هذه الإذاعة فلابد أن تتضمن النشاط الرياضى، وكنت أيامها أدير إذاعة الشعب وصدر القرار بتبعية إذاعة الشباب والرياضة إلى إذاعة الشعب وأصبحت مديراً للإذاعتين وبدأنا العمل لمدة أربع ساعات يومياً نقدم الأحداث الرياضية والشبابية وسنة بعد سنة كبرت الإذاعة الشبابية الرياضية وعندما خرجت على المعاش كانت إذاعة الشباب والرياضة تبث ست عشرة ساعة يوميا وهكذا تحقق الحلم.

يحصل فى أحسن العائلات ..

كان المذيع منا نحن جيل الخمسينيات من القرن الماضى يمنى نفسه بأن يقوم بتقديم حفل من حفلات كوكب الشرق أم كلثوم وكان يتساءل بينه وبين نفسه متى يحين الوقت الذى يخطره فيه كبير

المذيعين بأن الأمنية على وشك أن تتحقق وأنه منوط به أن يقوم بتقديم حفل سيدة الغناء، ومع ذلك فإن هذه الأمنية كانت مسكونة بالخوف والرهبة ويحيطها الهلع من كل جانب فما الذى سيقوله الواحد منا بعد القول الذى صدر ويصدر من الأساتذة الذين يتصدون لتقديم هذا الحفل وما الذى يمكن أن يضيفه أحدنا إلى ما جاء ويجيء على ألسنة الرواد العظام محمد فتحى وعبدالوهاب يوسف وحافظ عبد الوهاب وأنور المشرى وحسنى الحديدى؟! كانوا يتصفون بالأسلوب الشائق والكلام الجميل والوصف الأخاذ لحفل أم كلثوم حتى إن المستمعين كانوا يصغون إلى جهاز الراديو ليلة الحفل بمجرد أن ينتقل الميكروفون إلى مسرح حديقة الأزبكية أو إلى دار سينما قصر النيل حيث مكان الحفل ليستمعوا إلى كلام المذيع ووصفه لرواد الحفل ثم وصفه للفستان الذى ترتديه أم كلثوم وتسريحة شعرها وما تتحلى به من أساور وما تمسك به من مناديل ومع ذلك كانت تجيش فى صدورنا أن تتاح لنا الفرصة لتقديم الحفل الذى يستمع إليه العالم العربى من محيطه إلى خليجه، وعندما أبلغنى كبير المذيعين فى نهاية شهر فبراير عام ١٩٥٤ بأننى سأكون مذيع حفل أم كلثوم ليلة الخميس الأول من شهر مارس من تلك السنة كانت سعادتى غامرة وكان خوفى وفزعى يأخذان بمجامع مشاعرى بقدر نفس الفرحة التى انتابتنى وظللت قرابة أسبوعين قبل الحفل وأنا أعيش الحلم المزوج بالخوف وظللت أكتب ما سأقوله فى الحفل مرة ومرة ثم أقوم بتقطيع الأوراق التى كتبت عليها سطور التقديم لأشرع من جديد فى كتابة مقدمة أخرى وأنا أتخيل المسرح وجماهيره وأتخيل الإرهاصات التى تدور فى عقول المتفرجين وكل منهم يخمن اسم الأغنية التى ستشدو بها فى مستهل الحفل وماذا سأقول عن الفستان الذى سترتديه وعن الحلى التى ستتزين بها. المهم أنه فى الليلة الموعودة أخذت طريقى مستقلا عربة الإذاعة من مبنى الشريفين إلى مقر الحفل فى مسرح الأزبكية وبعد أن تجاذبت بعضا من أطراف الأحاديث مع الزملاء من الهندسة الإذاعية الذين سبقوا إلى الحفل ورتبوا الميكروفونات ومكبرات الصوت، توجهت إلى خلف المسرح حيث كانت كوكب الشرق تأخذ أهبتها لبدء الحفل عندما دخلت عليها استقبلتنى بابتسامة عريضة وعرفها بى وللمرة الثانية ابن شقيقها المهندس محمد دسوقى وقالت هى على الفور أنا فاكراه «المذيع الصعيدى» وضحكت ضحكة عالية وربتت على كتفى مشجعة مما أدخل الطمأنينة إلى قلبى وقالت لى إنها ستشدو فى أولى أغنياتها بأغنية «جددت حبك ليه» واتجهت بعد ذلك إلى موقعى أمام الميكروفون بجوار الزملاء مهندسى الإذاعة، نسيت أن أقول إن الزميل طاهر أبوزيد كان قد التقى بى فى مبنى الشريفين قبل توجهى للإذاعة الخارجية وقال لى «جود لك» «أنا حاسمعك وعاوزك تلعلع» هذه الجملة ظلت عالقة فى ذهنى إضافة إلى جمهور الحفل الذى كان يسترق النظرات لى وأنا أمام الميكروفون ثم الملايين التى ستستمع إلى، كل ذلك شد من اعصابى ولكننى استخرت الله سبحانه وقرأت الفاتحة، وحان موعد البدء وانتقل الميكروفون من الاستوديو إلى مكان الحفل بمسرح الأزبكية وأشار لى المهندس بأننى على الهواء وأخذت أقدم الحفل وما هى إلا دقيقة أو أكثر قليلا حتى اندمجت وانتابنى شعور من الهدوء

وأخذت أقول ما حلا لى من القول على مدى خمس دقائق قبل أن يرتفع الستار عن كوكب الشرق ومع ذلك لم يخل الأمر من طرفة حدثت لى، فعندما بدأت دقات المسرح التقليدية الثلاث التى تسبق رفع الستار انطلق صوتى بقول وها هى ذى دقات المسرح التقليدية تؤذن ببدء الحفل دقة دقة ثم دقة ثم الثالثة والآن أيها الستارة ترتفع السادة عن أم كلثوم وفرقتها الموسيقية لتغنى لنا إلخ إلخ إلخ كانت هذه هفوة طريفة ضحك لها زملائى الذين استمعوا إلى قائلين بتحصل مع أحسن المذيعين.

مواقفى مع عبد الحليم حافظ ..

كانت الإذاعة أملا يداعب خاطر كل من يريد لنفسه الذيوع والانتشار سواء كان مطربا أو موسيقيا أم ملحنا أم أديبا فقد كانت الإذاعة هى وسيلة الاتصال الوحيدة التى تحظى بجماهيرية وبكثافة استماع شديدة الروعة ولم تكن شرائط الكاسيت قد عرفت بعد اللهم إلا الأسطوانات التى تنتجها شركات الغناء، وبذلك كان أى إنسان يحس أنه صاحب صوت جميل لا يعرف إلا طريق الإذاعة فهى التى ستقدمه للناس وهى التى ستجعله يحظى بالتألق والنجومية ولعل المثل الأوضح فى هذا المجال هو الفنان الراحل عبد الحليم حافظ وعندما سأحكى بعض مواقفى معه فإننى لا أدعى صداقة قوية ربطتنى به ولا أزعم أننى كنت من بين من يسهرون فى منزله أو أدعى كما يقول البعض إنهم كانوا من أعز معارفه وأنه – يرحمه الله كان لا يأكل طبق البيصارة إلا الطبق الذى تصنعه زوجات هذا البعض، واللى مش مصدق يروح القرافة ويسأل عبد الحليم وعلاقتى معه بدأت من خلال تواجده كعازف موسيقى فى فرقة موسيقى الإذاعة التى كانت تعزف مقطوعات موسيقية فى مستهل فترة إذاعة برامج الساعة الثانية بعد الظهر ولمدة ربع ساعة فقد كان المذيع منا لابد وأن يكتب أسماء الفرقة واحدا واحدا واسم الآلة التى يعزف عليها حتى يكون ما نكتبه هو مستند صرف الأجور من خزانة الإذاعة وكنت أشاهده شابا ضئيل الحجم وسط مجموعة من العازفين أغلبهم من ضخام القامة وكان يعزف على آلة الأبوا وأشهد أنه كان له حضور يجعلنا نحن المذيعين نسلم عليه ونتجاذب معه أطراف الحديث كان اسمه عبد الحليم شبانة وكان شقيقه إسماعيل يغنى فى الأركان الإذاعية مثل ركن الريف وركن العمال.. وعادة ما كان يجلس معنا فى استراحة المذيعين عقب الانتهاء من تسجيلات الفرقة الموسيقية وكان يرهص لنا بأنه يجيد الغناء وكنا نقول له أسمعنا ما عندك وكان يغنى أغنيته التى دخل بها امتحان الصوت فهى أغنية صافينى مرة، وأرهصنا لأستاذنا حافظ عبد الوهاب وكان يرأس قسم الموسيقى والغناء بأن يستمع إلى هذا العازف فى فرقة موسيقى الإذاعة واستجاب الأستاذ واستمع إليه ثم جمع له لجنة الموسيقى واستمعت إليه وأجازته اللجنة وبدأت الصلة تقوى مع عبد الحليم والموجى وكاتب أغنياته سمير محبوب، كان ذلك فى مطالع الخمسينيات حين بدأ عبد الحليم يشق طريقه فى مجال الغناء وبعد أن أعطاه عمنا حافظ عبد الوهاب اسمه فأصبح يسمى عبد الحليم حافظ وكثيرا ما كان عبد الحليم والموجى يصحباننا فى جلساتنا الخاصة الموجى على العود وعبد الحليم حافظ يغنى وشهدت شقة الراحل جلال معوض بشارع سليمان جوهر بحى الدقى أمسيات جميلة شاركنا فيها الثنائى الموجى وعبد الحليم وكنت أيامها

أقـدم البرامج الرياضية وبالتالى أقدم المعلقين فى مباريات الكرة وكثيرا ما صاحبنى عبد الحليم ليشـاهد المباريات وتعرف على نجوم كرة القدم عصام بهيج ويكن حسـين وعلاء الحاموى نجوم الخمسـينيات وكانت له سهرات معنا فى نادى الزمالك حيث كنا نعتقد جميعا أنه من مناصرى نادى الزمالك وعندما اشـتهر عبد الحليم وأصبح نجما يشـار إليه بالبنان أظهر أهلويته وقال لى إنه أهلاوى صميم وطبعا اللى مش مصدق كلامى يروح يسأل عبد الحليم نفسه ! ! وأختم سطورى بحكاية حدثت لى معه قبل أن يرحل عن دنيانا ففى نهاية الموسـم الكروى عام ١٩٧٦ وصل إلى نهائى كأس مصر لكرة القدم كل من الأهلى والاتحاد السكندرى والتقيت عبد الحليم فى إحدى طرقات الإذاعة وقال لى طبعا حنكسب الكأس وقلت له بل الاتحاد سيكسـب الكأس من قبيل العند ثم قلت له متحديا هل لو كسـب الاتحاد السـكندرى تحتفـى بـه فوافق على الفور طبعا لاعتقاده أن الاتحاد لن يتغلب على الأهلى والمباراة سـتقام باسـتاد القاهرة وسط جماهير الأهلى المهم أن الاتحاد فاز بالمباراة فهاتفته ليوفى بوعده ووافق عل الفور واتصلت بالمسـئولين فى الاتحاد السـكندرى وحددنا موعد مجىء الفريق وإداريه إلى منزل عبد الحليم وقدم لهم هدايا قيمة وأقام حفل عشاء باذع وغنى لهم على العود وسجلت أنا فقرات الحفل وأذعتها بعد ذلك فى البرامج الرياضية رحم الله عبد الحليم حافظ.

العمروسى ومقعده الدائم ..

وبمناسـبة الحديـث عـن عبد الحليم حافـظ فإننى أقول إن بدايـة معرفته بصديق عمره وشـريكه ومستشاره الراحل مجدى العمروسى كانت على يدى، وعن طريقى، ومجدى كان زميل دراسة فى كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية وعلاقتى به بدأت منذ السنة الأولى بكلية الحقوق ولم تكن علاقة زمالة قوية إنما كانت مجرد صباح الخير وأهلا وسـهلا فقط لا غير ويرجع السـبب فى هذه العلاقة إلى أن مجدى العمروسى كان معروفا بيننا نحن زملاء الدراسة بأنه إنسان يميل إلى الدعابة خاصة مع الأساتذة الذين كانوا يدرسون لنا فعندما كان الأستاذ يحاضرنا وتأتى محاضرته إلى قرب نهايتها كان مجدى وهو قابع فى آخر صف من صفوف المدرج يقول جملة «مش كفاية» منغمة كما تقولها كوكب الشـرق فى أغنيتها الشـهيرة «مش كفاية إن الأعادى فى بعادى يفرحوا» كان الأسـتاذ المحاضر يبتسـم ثم يقول حاضر يا سيدى كفاية ويغادر المدرج ونبدأ نحن فى الضحك والهيصة وتقديم الشكر لمجدى العمروسى لأنه أتاح لنا فرصة الفسـحة ما بين المحاضرة والتى تليها وظلت العلاقة بينى وبينه على رتابتها إلا أن تخرجنا عام ١٩٤٩ وغادرت أنا الإسـكندرية لأعمل بعد ذلك بالقاهرة مذيعا بالإذاعة وتقطعت بيننا الأسـباب لـمدة تزيد على خمس سـنوات حتى كانت ليلة الخميس الأول من شـهر مـارس ١٩٥٤ عندما عهد لى كبير المذيعين الراحل حسـن الحديدى بتنفيذ حفل أم كلثوم من مسرح حديقة الأزبكية وعندما ترجلت من عربة الإذاعة متخذا طريقى إلى باب المسـرح فوجئت بمجدى العمروسـى واقفا وكأنه ينتظر شخصا معينا نظرنا إلى بعضنا ثم وجدنا أنفسنا فى عناق وأحضان وقبلات وعرفت منه أنه يدأب كل شهر على حضور حفل أم كلثوم وكان عادة ما يحجز له صديقه عازف القانون الراحل محمد عبده صالح مقعدا فى

الحفل وأنه فى انتظار وصوله لكى يدخل إلى صالة المسرح وهنا قلت له لا داعى للانتظار وأخذته معى إلى بنـوار الإذاعـة الذى نضع فيه أجهزة الإذاعة الخارجية وميكروفون المذيع ، ومنذ هذا التاريخ أصبح مجدى العمروسـى يحضر إلى القاهرة ليلة حفل أم كلثوم ليجد كرسـيه المعتاد فى بنوار الإذاعة حتى لو لم أكن مذيع الحفل فقد كنت انتظره فى مكتبى ظهر الخميس عندما يحضر من الإسـكندرية ثم نمضى الوقت معا إلى أن يحين موعد الحفل فأصطحبه وأدخل به إلى بنوار الإذاعة وأقوم بعملية التعريف بينه وبين الزميل مذيع الحفل وتوثقت الصلة بينى وبينه حتى إننى عندما كنت أسافر إلى الإسكندرية لأمر من الأمور كان يرحمه الله يسـتقبلنى على رصيف سـيدى جابر ثم نستقل سيارته إلى الفندق الذى أنزل به ونظل معا إلى أن أغادر إلى القاهرة.

وعادة ما كان يصطحبنى إلى منزل أسـرته فى الأنفوشـى قريبا من مسجد أبو العباس المرسى وكانت المفاجأة أن حجرة كبيرة من حجرات المنزل كانت مكدسـة بالأسطوانات القديمة لكل المطربين من سيد درويـش وصالح عبدالحى وأم كلثوم وعبدالوهاب والشـيخ أبو العلا محمد وكثيرين غيرهم وكان مجدى يتحـدث عن هذه الأغنيات وأصحابها حديث الذى يعرف الكثير عن الغناء وتاريخه المهم أنه فى أحد الأيام جاء مجدى إلى القاهرة وفوجئت به يدخل على فى منزلى وكنت أيامها أسـكن فى شـبرا وكانت هناك مناسـبة خاصة دعوت إليها مجموعة من الأصدقاء ومن بينهم عبد الحليم حافظ والموجى وجلال معوض رحم الله الجميع فى ذلك اليوم تعرف مجدى العمروسى إلى عبد الحليم حافظ وتشاء المقادير أن تتوثق الصلة بينهما إلى درجة أننى كنت عندما التقى مجدى العمروسى بعد أن أصبح شريكا لعبد الحليم حافـظ فى شـركة الإنتاج الغنائى وبعد أن سـكن القاهرة كنت أقول له «أنا لـو كنت كتبت معاك عقد على أسـاس أن أتقاضى ١٠٪ من دخل الشـركة نظير أننى كنت السبب فى صداقتك لعبد الحليم كنت طبعـا مـش حترفض يا مجدى بعـد الأملة اللى أنت فيها» ثم ننخرط معا فـى ضحك طويل.. ومنذ أن تعـرف مجدى إلى عبـد الحليم كان عبد الحليم عندما يذهب إلى الإسـكندرية يجد مجدى فى انتظاره وكان لا يتركـه حتـى يعود إلى القاهرة. كان عبد الحليم فى تلـك الأيام فى الطالع وكان مجدى محاميا بالإسـكندرية ولشـدة الصداقة بينهما أصبح مجدى مستشـاره القانونى ونقل مكتبه إلى القاهرة وتعرف مجـدى إلى كل أصدقاء عبد الحليم بدءا من محمد عبد الوهاب ومرورا بالموجى والطويل وغيرهما وانتهاء بأسـرة عبد الحليم محمد شـبانة شقيقه وشـحاتة ابن خالته والوحيد الذى كان يعرف السبب فى صلة مجدى بعبد الحليم هو أنا وكم كنت أضحك كثيرا عندما كنت أسمع أو أقرأ أسباباً أخرى لهذه المعرفة وهذه الصداقة فقد كان هناك من يتبرع بالحديث عن صداقة الطرفين خاصة بعد رحيلهما.

حسن إمام عمر ..

لابد لى أن أقف بعض الوقت مع محطة مهمة من محطاتى الإذاعية هى محطة عمى حسن إمام عمر يرحمه الله وحسـن إمام عمر عمنا جميعا نحن جيل الخمسـينيات وكثيرا ما كان البعض يحسب أننى

أمتّ له بصلة القرابة بحكم مصاحبتى له ليل نهار خاصة أن هناك تشابها فى الاسم وكنت أقول لهم هو عمى الذى ليس شقيق أبى وهو من القليوبية وأنا من محافظة قنا ولكنه عمى بحكم السن والأستاذية. كانت شقة عمنا حسن الأولى فى شارع المبتديان أمام مبنى دار الهلال ثم شقته الثانية والأخيرة فى عمارة التأمين بلاظوغلى، وكانت كلتاهما مكاناً يتلقى فيه الكثيرون وكانت سهرات عمنا حسن مفتوحة يسمر فيها القاصى والدانى، فيها الفنان والمطرب والصحفى والأديب وضباط الشرطة والعمد من نواحى قريته وكان من يريد أن يصبح نجما فى أى لون من ألوان الفنون فعليه أن يطرق باب منزل عمنا حسن وعليه أن يأخذ شهادة تخرج ممهورة بإمضاء حسن إمام عمر. والذى عرفنى بالأستاذ حسن إمام عمر كان الناقد الفنى والصحفى وكاتب الأغانى متعدد المواهب الراحل جليل البندارى الذى كان يحرر صفحة فنية فى مجلة آخر ساعة وكان يخصص عمودا فيها يتحدث فيه عن الإذاعة ونجومها وكتب عنى الرجل عمودا قدمنى فيه للقراء وهو الذى حكى حكايتى مع الميكروفون وكيف أن لهجتى الصعيدية ظلت عائقا أمام عملى كمذيع إلى أن تخلصت منها وأطلق على لقب «المذيع الصعيدى»، وفى إحدى الليالى اصطحبنى عمنا جليل البندارى إلى سهرة فى شقة عمنا حسن إمام بشارع المبتديان ودخلت ولم أخرج فقد أحببت الرجل وأحبنى هو وأصبحت له كظله لا أفارقه فأنا بعد انتهاء أى فترة إذاعية لى أتوجه إليه فى مسكنه خاصة بعد حريق القاهرة حيث كان التجول ممنوعا وكانت الإذاعة قد أعطت مذيعيها تصاريح للتجول ليلا لأننا كنا نؤدى فترات ليلية ولذلك كان عمنا حسن إمام يقول إزاى أقعد لوحدى فى الشقة وعليك بالمجىء والسهر معى، وكنت أذهب إليه وبعد منتصف الليل اتصل بالإذاعة تليفونيا لتبعث لى بسيارة المذيعين لتوصلنى إلى منزل فى شبرا وعمنا حسن إمام هو الذى عرفنى بنجوم السينما والمسرح حيث كنت أصاحبه فى جولاته فى ستوديوهات السينما التى كانت عامرة بالإنتاج كما كنت أصحبه فى جولاته فى المسارح ليلا ومن خلاله عرفت الكثير والتقيت فى سهراته المنزلية بالكثيرين ولا أستطيع أن أعدد من كانوا يسهرون فى منزل حسن إمام فهم كثيرون كثيرون، سيد مكاوى، يرحمه الله شاهدته يغنى بالعود – قبل أن يشتهر – فى سهرات حسن إمام عن المطرب سيد إسماعيل، محرم فؤاد وكذلك عبد الحليم حافظ وهانى شاكر، مثلا أوبريت الليلة الكبيرة لسيد مكاوى كنا نتغنى بها فى سهرات حسن إمام عمر قبل أن تسجل فى الإذاعة، المهم أنه ما من مخرج سينمائى كبر أو صغر وما من نجم مشهور وما من مطرب إلا وكان من السهرانين عند حسن إمام عمر ولما قدمت مجلة الهواء ساعدنى عمنا حسن مساعدة ضخمة فقد كنت أعد فيها صفحة فنية التقى فيها مع نجوم السينما وكنت لا أعرف الكثيرين منهم فكان الأستاذ حسن إمام يتصل بهم ويرتب لقاءاتى معهم وكان فى ذلك الوقت يقدم هو أيضا برنامجا شهيرا فى صوت العرب هو برنامج «ثلاثة أيام فى القاهرة» حيث كان البرنامج يستضيف من يفوز فى مسابقة البرنامج من أى بلد عربى ليقضى فى القاهرة ثلاثة أيام فى القاهرة ضيفا على صوت العرب وكان للبرنامج صيته ووقعه، وعندما كنت التقى بين حين وآخر مع عمنا حسن قبل رحيله وهو

يعيش فى قريته التابعة لمركز قليوب ونتذكر تلك الأيام كنا نظل نترحم على ساعات جميلة وأمسيات عذبة وأوقات باذخة عشتها فى كنفه وتحت رعايته. وقبل وفاته ترك عمنا حسن القاهرة وضجيجها وزحامها وبنى منزلا جميلا فى حديقة واسعة بقريته «كفر السبيل» «مركز قليوب» حيث كان يعيش مع أبناء أشقائه الذين كانوا يقومون على رعايته رعاية كاملة ويسهرون على خدمته وقبل رحيله بنى عمنا حسن مسجدا بجوار منزله وحضرت حفل افتتاحه فى الثالث عشر من مايو ٢٠٠٥ حيث قام محافظ الإقليم بقص شريط الافتتاح وسط جمهرة غفيرة من أعيان القليوبية.

قطار الرحمة:

لن أنسى رحلة قطار الرحمة المتجه إلى الصعيد حيث كنت المذيع الذى رافق الرحلة من القاهرة إلى أسوان والعودة كانت فكرة قطارات الرحمة من بنات أفكار الراحل وجيه أباظة مدير الشئون المعنوية بالقوات المسلحة عقب الثورة وكان الهدف منها جمع أكبر قدر ممكن من التبرعات مادية وعينية للإخوة الفلسطينيين ممن داهمتهم نكسة ٤٨ فتركوا ديارهم لاجئين إلى مختلف أنحاء البلدان العربية المجاورة لفلسطين وكانت هناك أكثر من رحلة لهذا القطار، رحلة إلى شرق الدلتا ومدن القناة ورحلة إلى وسط الدلتا وغربها والإسكندرية ورحلة إلى الصعيد. وبحكم أننى المذيع الصعيدى فقد كان لزاما أكون المذيع الذى يصاحب قطار الصعيد وكان معى فى الرحلة الزميل الراحل عباس أحمد لأن رحلة قطار الرحمة الخاص بالصعيد كانت أكبر الرحلات من حيث المدة فقد بدأت مساء الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٢ وانتهت فى أول يناير عام ١٩٥٣ حتى إننا احتفلنا بليلة رأس السنة بعد أن ترك القطار محطة بنى سويف قبل منتصف الليل بقليل فى طريقه إلى القاهرة التى وصلها فجرا وظللنا فى القطار حتى أشرقت الشمس وقبل انطلاق القطار فى مستهل رحلته كان فى وداعه السيد وجيه أباظة يرحمه الله، ضم القطار مجموعة كبيرة من نجوم الفن وبعضا من السادة الضباط من القوات المسلحة والشرطة إضافة إلى أطقم المطابخ والمشرفين على غرف النوم لأننا كنا ننام فى القطار الذى كان مكونا من عدة عربات للنوم بالإضافة إلى عربتين لتناول وجبات الطعام، كان القطار يضم الفنان محمد فوزى وزوجته مديحة يسرى وعز الدين ذو الفقار وزوجته فاتن حمامة ومحمود ذو الفقار وزوجته مريم فخر الدين وعماد حمدى والمونولوجيست سعاد حلمى، وشادية ووالدتها وماجدة ووالدتها وعددا آخر من الفنانين لا تسعهم الذاكرة الآن ومن الصحفيين الأستاذ جليل البندارى، وتحرك القطار فى طريقه إلى الصعيد فوصل إلى أسوان ظهيرة اليوم التالى قاطعا المسافة فى ست عشرة ساعة وفى محطة أسوان كان مدير المديرية حيث لم يكن نظام المحافظات الحالى قد عرفناه بعد ومع المدير جماهير غفيرة من الموظفين والأعيان وطلبة المدارس فى زى الكشافة يلوحون بالافتات التى تتغنى بالثورة وتهتف لمحمد نجيب فقد كان عمر الثورة لا يتجاوز الأشهر الستة وبعد ليلة فى أسوان جاد خلالها الكثيرون بالعطايا التى كان يتسلمها الضباط المسئولون عن الرحلة، وبعد سهرة ظهر فيها الفنانون على مسرح المدينة يستحثون

المواطنين على التبرع تحرك القطار ليبيت ليلته الثالثة فى الأقصر وعلى طول الطريق من أسوان إلى الأقصر كان الأهالى يتجمعون على أرصفة المحطات مقدمين ما تجود به أنفسهم للغرض النبيل الذى جاء القطار من أجله إضافة إلى ذلك كانت الأسر الموسرة من رجالات المراكز والمدن التى يقف عليها القطار مثل كوم أمبو وإسنا يقدمون لنا الذبائح والديوك الرومى وكانت توضع فى ثلاجات القطار لتطبخ لنا فى الوجبات التى نتناولها وكثيرا ما كانت تقام لنا الولائم الباذخة فى عواصم المديريات وأذكر أننى هاتفت والدى قائلا له إنه لابد من تقديم واجب الضيافة لمن معى فى القطار وبالفعل عندما وقف القطار فى نجع حمادى، توجهنا جميعا إلى القرية التى استقبلت الضيوف بالكلوبات على طول الطريق وعلى مدى أسبوعين كانت مدن الصعيد حفية كريمة غاية الكرم مع قطار الرحمة ولم يبخل أحد بما تجود به نفسه حتى جريد النخيل امتلأت به أكثر من عربة من عربات القطار إذ جاء البعض قائلين إنهم لا يملكون إلا النخيل ليجودوا ببلحه وجريده للاجئين. وفى رحلة القطار توطدت الصداقة بينى وبين الفنانين الذين سافروا فى الرحلة وظللنا نلتقى على مدى عدة أسابيع فى منازل الفنانين وأذكر أن الحب أوقع شباكه بين عماد حمدى وشادية خلال هذه الرحلة فكان زواجهما كما كانت هذه الرحلة بداية الشقاق بين زوج وزوجته من الفنانين فكان الطلاق بينهما عقب الرحلة بأسابيع.

زيارة الأردن ..

فى عام ١٩٥٤ كانت المناداة من قبل الاستعمار بحلف بغداد وناجزت الثورة ذلك الحلف بكل قوة وكانت رحلات صلاح سالم وزير الإرشاد القومى إلى مختلف البلدان العربية ليعمل على عدم اشتراكها فى هذا الحلف المشبوه والذى ليس له غرض إلا ترسيخ الاستعمار فى العالم العربى والشرق الأوسط وكانت الإذاعة توفد مذيعا ليقوم بتقديم صور إذاعية وتسجيل المؤتمرات والندوات التى يعقدها صلاح سالم فى كل رحلة من رحلاته وكان من نصيبى أن أكون المذيع الذى رافق صلاح سالم فى رحلته إلى الأردن وكانت المرة الأولى فى حياتى التى أسافر فيها إلى بلد خارج مصر كما كانت المرة الأولى التى أسافر فيها بالطائرة وفى صباح الفاتح من سبتمبر «كما يقول الإخوة الليبيون» عام ١٩٥٤ ركبت الطائرة الداكوتا من مطار ألماظة مصاحبا للسيد الوزير وهو فى طريقه إلى عمان العاصمة الأردنية، كان قائد الطائرة واحدا من نجوم كرة القدم فى تلك الأيام وهو الرائد طيار محب يوسف الذى رحب بى وأنا أصعد سلم الطائرة وكانت المفاجأة أن السيد الوزير كان قد سبق فى الحضور إلى المطار وصدر منه زعيقا عاليا عن السبب فى عدم إقلاع الطائرة فأخبره سكرتيره الراحل على شوقى الحديدى وكان يعرفنى معرفة تامة خاصة أنه ابن عم حسنى الحديدى كبير المذيعين وعبد الحميد الحديدى مراقب عام الأخبار بالإذاعة أخبره أن الإذاعة تنقل معداتها داخل الطائرة وكانت معدات ثقيلة حيث لم تكن الأجهزة الإذاعية على ما هى عليه من صغر الحجم وقلة الوزن.. وتساءل الوزير فى صوت عالٍ قائلا: لماذا لم تحضر الإذاعة فى وقت مبكر للمطار وكنت قريبا منه أرقب المهندس الإذاعى وهو يرتب الأجهزة فقلت له إن التعليمات التى أعطيت لنا تقول إن الطائرة ستقلع الساعة الثامنة صباحا والساعة الآن

تشـير إلى الـسـابعة والنصف والإذاعة بالتالى جاءت إلى المكان فى الموعد المناسـب فأشاح بيده وكان هذا أول صدام بينى وبينه فى مسـتهل المرحلة وقلت بينى وبين نفسـى ربنا يسـتر وأقلعت الطائرة متجهة إلى العاصمة الأردنية كانت الطائرة الداكوتا بطيئة فى طيرانها وهى طائرة حربية تسـتعمل فى عمليات النقل والمواصلات بدليل أن قائدها وملاحيها كلهم يرتدون الزى العسـكرى وقطعت الطائرة المسـافة من القاهرة إلى عمان فى أكثر من ثلاث سـاعات وهبطنا فى مطار عمان وكان فى تلك الأيام مطارا بدائيا لا يعمـل إلا نهارا فقط فهو غـير مهيأ للطيران الليلى وليس به إلا مدرج واحد وإداراته وبرجه يقبعان فى مبنى خشبى أذكر فى هذه المناسبة أنى زرت عمان عام ١٩٦٩ فكان مطارها نموذجيا للغاية وأقام صلاح سـالم فى قصر مـن قصور الضيافة الحكومية وأما نحن المرافقين له فقـد أقمنا فى فندق كان هو الفندق الوحيد فى العاصمة المخصص لاسـتقبال الوفود ولا تزيد درجته على ثلاثة نجوم وهو فندق «فيلادلفيا» وبعيدا عن الإقامة والضيافة أقول إن صلاح سـالم زار بعضا من مدن الضفة الغربية التى كانت فى تلك الأيام تشـكل مع شرق الأردن ما يسمى بالمملكة الأردنية الهاشمية زرنا طولكرم وجنين ونابلس وقلقيلية وأدينا صلاة الجمعة فى القدس الشريف وسجلت خطبة الجمعة وأذعت فقرات منها فى برنامج خاص قدمتـه عقـب العودة للقاهرة تناولـت فيه بعضا من تفاصيل الرحلة وأذكر فى هذا السـياق أننى طلبت من السـيد عبدالمنعم الرفاعى وكان وزيرا للقصر الملكى أن أسـجل حديثا مع الملك حسـين الذى لم يكن قد تخطى العشـرين من عمره وتحدد بالفعل موعد التسـجيل وجاءت سيارة حكومية نقلتنا أنا والزميل مهندس الإذاعة إلى قصر رغدان كنت أعتقد أنى سـأجرى حوارا مع الملك ولكن دخل علينا «سـيدنا». هكذا قالوا لى عندما أخاطبه قائلا مرحبا يا شباب إيش تريدوا فقلت له يا سيدنا أريد أن أجرى حوارا معـك حـول أحوال الأمة العربية فقال مرحبا وتهيأت أمام الميكروفون وإذا به يخرج ورقة مكتوبة ويبدأ فى القراءة منها متضمنة كلمات مفادها الترحيب بكل ما من شأنه أن يعلى شأن الأمة العربية. ولم يزد الحديـث الـذى أدلى به على أربع دقائق وعندما عدت كان فى نيتى أن أذيع الحديث فى مجلة الهواء ولكن المفاجأة كانت عندما اسـتدعانى فى نفس يوم العودة من عمان السـيد رئيس الإذاعة الراحل أمين حماد متسائلا عن الحديث الذى أجريته مع ملك الأردن ذلك أن وكالة الأنباء الأردنية بثت خبرا يقول إن جلالة الملك أدلى بحديث للإذاعة المصرية واسـتطرد رئيس الإذاعة يقول إن علىّ أن أهيىء الشـريط المسجل عليه الحديث ليذاع فى مستهل نشرة أنباء الساعة الثامنة والنصف وبالفعل أذيع حديث الملك فى الموعد المحدد ولقد أبليت بلاء حسنا مسجلا كل تحركات صلاح سالم ومع ذلك فإن ذلك لم يشفع لى عنده ففى آخر ليلة لنا فى عمان أقام توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الأردن حفل عشاء فى منزله على شرف صلاح سالم وعقب أن سجلت حوارا مع رئيس الوزراء وبينما أنا ألملم جهاز التسجيل والشرائط، تكلم صلاح سـالم قائلا لى «إيه اللى بتعمله ده» وكأنه لم يكن راضيا عن جهدى الذى بذلته معه طوال أيام أربعة كنت خلالها دءوبا على تسجيل كل حركاته وثكناته.

□□□

الفصل الخامس

مذبحة الإذاعة والتليفزيون !!..

بابا شارو ..

من الأساتذة العظام الذين شكلوا توهج الإذاعة المصرية وجاهدوا من أجل إخراج فنون إذاعية شائقة يأتى بابا شارو، فى المقدمة من هؤلاء الأساتذة، محمد محمود شعبان أبو الإذاعيين وزوج أمهم صفية المهندس ورئيس الإذاعة ورائد برامج الطفل ومخرج السيمفونية التى عزفها الإذاعيون فى حرب السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ عندما قدموا من البرامج والأغنيات والحوارات، ما أجج المشاعر وأشعل الحماس فى القلوب وأضاف تألقا عظيما لعطاء المغاوير من أبناء القوات المسلحة الذين رفعوا أعلام مصر وكتبوا سطورا ناصعة فى سجل الخلود، وعندما التحقنا بالإذاعة فى مطلع النصف الثانى من القرن الماضى، كان بابا شارو مع كوكبة من الأساتذة يمثلون مجموعة من أهرامات الفن الإذاعى، فقد كان هو وتلك الكوكبة صناع فنون إذاعية غاية فى الرقى، وهى فنون مازالت تعيش فى الوجدان وتثرى الخيال.

كان بابا شارو – عندما التحق بالإذاعة فى مطلع الأربعينيات – يستعد لتقديم ماجستير فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول التى تخرج فيها، ولكن الإذاعة ببريقها جذبته إليها فنسى حكاية الماجستير وأصبح «دكتورا» فى الفن الإذاعى، كانت الأجهزة الإذاعية فى عقد الأربعينيات من القرن الماضى شبه بدائية، إذا ما قورنت بما هى عليه الآن من تقدم تكنولوجى، ومع ذلك قدم بابا شارو روائعه الغنائية وصوره الإذاعية التى يحس الإنسان عندما يسمعها أنه يكاد يلمسها بيديه ويعانقها بعينيه، أقول إنه على رغم التقدم التكنولوجى فى أجهزة الإذاعة فإن أحدا من الإذاعيين على مدى العقود الماضية لم يقدم من البرامج مثل تلك التى قدمها بابا شارو وزملاء جيله من العظام، وكم كان العناء كبيرا فى عملية الإخراج آنذاك، فقد كانت ماكينة التسجيل ضخمة للغاية ويصل ارتفاعها إلى حوالى المتر ونصف المتر، وكانت طارة الشريط الصلب الذى نسجل عليه البرامج تزن ما لا يقل عن سبعة كيلو جرامات أو يزيد، وكان مهندس التسجيلات يكاد يتصبب عرقا وهو «يرزع» الطارة فى الماكينة ليصلها بالطارة الأخرى التى يلتف عليها الشريط فى جريانه أثناء التسجيل، اليوم الشريط بلاستيك وطارته تزن ما لا يزيد على ربع كيلو أو أقل وتشغيل ماكينة التسجيل سهل وميسور وعمليات المونتاج يمكن أن تتم فى حروف الكلمات ومع ذلك لم تشهد أعمالا إذاعية باذخة مثل تلك التى قدمها الرواد ومنهم بابا شارو قدم باب شارو العديد من البرامج: مثل – الراعى الأسمر – عذراء الربيع – دندرمة – وغيرها، وكم كانت

سعادتنا طاغية ونحن – تلاميذه – نحمل له الأسطوانات التى يستعمل أجزاء منها كنقلات موسيقية بين فقرات برامجه، أو ونحن نشاهده وهو يدير عملية الإخراج الإذاعى متنقلا بين هذا الاستوديو وذاك، ونحن فى حالة من الانبهار وهو يتحرك فى خفة ورشاقة يعطى إشارته وتعليماته للفرقة الموسيقية تارة وللممثلين تارة أخرى.

ومنذ منتصف الأربعينيات من القرن الماضى تقريبا قدم بابا شارو برامج الطفل، وكانت هذه البرامج تقدم ثلاث مرات أسبوعيا لمدة نصف ساعة للبرنامج، وكان الطفل الذى يذكر بابا شارو اسمه يشعر بالتيه والفخر بين زملائه فى المدرسة، وكان الطفل الذى يقرص بابا شارو أذنه بكلمة أو بكلمتين يظل مهموما حتى يصفح عنه بابا شارو، لقد قدم بابا شارو فى برامج الطفل الأغنية الجميلة والتمثيلية الراقية والنصائح الغالية، ومن خلال ذلك غرس بابا شارو وعلى مدى حوالى عشرين عاما عادات إيجابية فى نفوس الأطفال، ولقنهم قيمة العلم والأخلاق ووسع من مداركهم وجعلهم يحلقون بخيالهم فى عوالم الفضيلة والحسن والجمال، ومن خلال برامج الأطفال ربى بابا شارو أطفالا أصبحوا بعد ذلك نجوما ساطعة فى سماء الفن، سعاد حسنى مثلا، صفاء أبو السعود وكثيرين آخرين.

ألف ليلة وليلة ..

وفى خمسينيات القرن الماضى صنع بابا شارو ملحمة «ألف ليلة وليلة» وقدم من خلالها دراما إذاعية هى التميز والروعة بعينها، كانت «ألف ليلة» عملا فريدا أثرى الوجدان وأشعل الخيال، كما كانت خيرا وبركة على مؤلفها الشاعر الكبير المرحوم طاهر أبو فاشا الذى استحق من أجلها – بالإضافة إلى مجمل أعماله الأخرى الشعرية والأدبية – جائزة الدولة التقديرية. أما الرجل الذى جعل مادة «ألف ليلة وليلة» المكتوبة تنبض بالحياة وتزخر بالحركة وتتدفق بالإثارة، وتعطى للمستمع جرعة من الثقافة المسلية والخيال الثرى، فإنه لم يحظ من ذلك بشىء ما، ولعل حفل التكريم الذى أقامه له المجلس الأعلى للثقافة قبل رحيله بعام أو عامين كان عرفانا من المجلس بقيمة بابا شارو الثقافية وتكفيرا من المجلس، لأن اللوائح الخاصة بمنح الجوائز التقديرية ليس فيها ما يعطى جائزة ما للفن المسموع.. وإذا كان بابا شارو قد قدم ثقافة ترفيهية مسلية من خلال إخراجه لمسلسل «ألف ليلة وليلة» فإنه اتبع ذلك بعمل تراثى ضخم فيه من الثقافة الكثير والكثير، إنها حلقات «الأغانى» لـ «أبى الفرج الأصفهانى»، لقد تمكن بابا شارو بقدرته الإخراجية من أن يتصدى لهذا السفر العظيم ويقدمه للناس سهلا ميسورا جميلا أخاذاً واستطاع أن يطوع ما جاء فى السفر الكبير من نصوص وحكايات وقصص وأدب رفيع ليصل إلى المستمع زلالا صافيا فيه المتعة الروحية والنفسية والثقافية الباذخة، كان بابا شارو هذا الإنسان المبتسم المحب للنكتة والقفشة عندما يدخل قاعة البروفات ينقلب إلى شخص آخر، «كنت ترمى الإبرة فى الصالة فتسمع رنينها». كان الجميع وعلى رأسهم ثقاة الممثلين أصحاب الكعب العالى فى فنون الأداء، وكأن على رءوسهم الطير انتظارا لتعليمات الأستاذ، وعندما كان الواحد منهم يخطئ فى النحو أو

الصرف أو الأداء ينظر إليه بابا شـــارو نظرة ثاقبة من تحت نظارته، فيكاد هذا الواحد أن يخر صريعا وبعد البروفة يعود بابا شارو إلى طبيعته الودودة وبسمته الصافية.

ولعـــل توهج بابا شـــارو الأكبر والأعظم ظهر واضحـــا جليا، وهو يرأس الإذاعـــة إبان حرب أكتوبر المجيدة، فلقد أدار الرجل المعركة إعلاميا بشكل منقطع النظير، وقبل أن يذاع البيان الأول للمعركة جاء بابا شارو بكبير المذيعين الراحل صبرى سلامة ولقنه ما يجب أن يكون عليه الأداء أثناء إذاعة البيانات، وكيـــف يجـــب أن يكون هو ومذيعـــوه أصحاب نبرة هادئة وواثقة دون زعيـــق أو ضجيج، ولعل هذا هو الـــذى اكســـب الإذاعة المصرية المصداقيـــة طوال أيام المعركة حتى إنها كانت مصـــدرا إخباريا لوكالات الأنباء، جمعنا بابا شـــارو فى اســـتوديو (٤٥) بالدور الرابع، وقال: إن خريطة البرامج ستتغير وأن كل الشبكات ستصبح شبكة واحدة، وأن على مقدمات البرامج والعاملات عموما بالإذاعة أن يغادرن المبنى ويظل المذيعون والعنصر الرجالى هو القائم بالعمل، ووزع علينا أعباء الخريطة الجديدة وكيف ننتشر فى الشـــوارع والميادين والقرى والنجوع ولنتحاور مع أبناء الوطن وننقل مشـــاعرهم تجاه العبور العظيم، وأن يكون الحوار إيجابيا هادفا ليس فيه «لت ولا عجن»، وعلينا أن نذهب إلى أقسام الشرطة لنتعرف على حالـــة الأمـــن، وأن نذهب إلى المصالح الحكومية لنعرف ونقدم كيف يدور دولاب العمل، ثم جاء الرجل بســـرير «نقالى» ووضعه فى مكتبه بالإذاعة، وظل ليل نهار وعلى مدى أســـبوعين لا يذهب إلى منزله، وكان يستحم ويغير ملابسه فى الإذاعة، وكانت أم الإذاعيين ترسل له الأكل فى عمود به أكثر من طاسة فيها غذاؤه، كان هو الذى يقرأ نصوص الأغانى، وهو الذى يجيز اللحن والأداء، ولقد عجبت من أحد الزملاء الذى حكى فى قناة فضائية كيف أنه – أى هذا الزميل – هو الذى كانت بيده أمور الغناء أثناء المعركة، وأنه هو الذى أدار الحركة الغنائية، وهو الذى اســـتقبل الموسيقيين والمطربين وكتاب الأغانى، وأنه كان هو العمود الفقرى لكل ذلك العطاء الفنى الذى قدمته الإذاعة من أغانى المعركة، وحسبنا الله ونعم الوكيل. كان بابا شارو أبا وصديقا للإذاعيين قبل أن يكون رئيسا لهم، وكانت جلساته فى مكتبه جلســـات مفيدة فيها الدرس وفيها التوجيه الجميل والأســـتاذية الحقة – رحم الله بابا شارو وأجزل له المثوبة – بقدر ما أعطى للفن الإذاعى وللإذاعة عموما من جهد وبذل.

مذبحة الإذاعة والتليفزيون ..

كانت لحظات رهيبة وأوقاتا عصيبة تلك التى عاشـــها أبناء ماســـبيرو فى مايو ســـنة ١٩٧١، عندما تناهت إلى الأسماع أخبار تقول إن عددا لا بأس به من المذيعين ومقدمى البرامج والمســـئولين فى كل من الإذاعة والتليفزيون ســـيتركون المبنى بعيدا ومنهم من ســـيحال إلى المعاش ومنهم من ســـينقل إلى جهات حكومية أخرى، وذلك لأنهم من جماعات ما سمى فى ذلك الحين بمراكز القوى، وأن كشوف المبعدين تعد، وما هى إلا أيام قليلة وستحل الواقعة بهم، كان الواحد منا يدخل إلى المبنى فى الصباح ولا يعرف إن كان ســـيخرج منه إلى الأبد أو أنه ســـيعود إليه فى صباح اليوم التالى، بل إننى أعرف زميلا ما كاد

مسئول الأمن وهو على وشك الدخول من باب (٤)، وهو الباب الرئيسى للدخول، يقول له إن مدير مكتب الأمن يطلبه للمقابلة حتى اصفر لونه وامتقع وكاد يقع من طوله، وهو يقول: «أنا مليش دعوة أنا معرفش حد من مراكز القوى.. هو عاوزنى ليه»، وجر الزميل رجليه جرا حتى وصل إلى مكتب المسئول الأمنى فوجد أن السبب فى استدعائه بعيد تماما عن حكاية مراكز القوى، وكان هناك اثنان من المسئولين عن أمن المبنى هما صلاح محمد على وأحمد جنيدى – ولا أعرف أين هما الآن – وهذان الاثنان كانا يؤديان عملهما المنوط بهما، ولكنهما كانا يثيران القلق لدى كل من يطلبان مقابلته، كانت مراكز القوى فى المبنى الضخم ذات سطوة وقوة، بل إن بعضا منها أقنع مسئولاً كبيرا أنه سيجدد له فى وظيفته عندما يبلغ سن الإحالة إلى المعاش، وبالتالى كان هذا المسئول يسمع الكلام، ولكن خاب الظن فقد كان من بين الخارجين إلى المعاش فى حكاية مراكز القوى هذه قبل أن يصل إلى السن الرسمى للخروج من الخدمة، ومراكز القوى هذه هى التى أوقفت العديد من البرامج ومنها البرامج الرياضية التى كنت أقدمها. بحجة أن الرياضة كانت عاملا رئيسيا من العوامل التى أدت إلى حدوث نكسة سنة ١٩٦٧، المهم أن الواقعة وقعت وخرج من المبنى جمهرة من الزملاء والزميلات كانوا كوادر إذاعية وتليفزيونية وإدارية عالية الجودة، منهم من أحيل إلى المعاش ومنهم من نقل إلى جهات حكومية أخرى، والعجيب أن بعضا ممن نقل إلى جهات بعيدة جدا عن الجو الإعلامى أثبتوا كفاءتهم وقدرتهم ووصلوا إلى وظائف عليا فى هذه الجهات، وأذكر فى هذه المناسبة أننى التقيت بزميلة كريمة نقلت مع من نقل إلى جهة حكومية واستطاعت بقدراتها أن تصل إلى درجة وكيل أول وزارة، فقالت لى إنها كانت تشك كثيرا فى أنها كانت ستصل إلى مثل هذه الدرجة الوظيفية لو استمرت فى قطاع الإذاعة ولم تنقل بعيدا عنه. على أية حال، فإن عددا لا بأس به ممن نقلوا خارج جهاز الإعلام عادوا إليه بعد ذلك، منهم من جاء بعد شهور قليلة ومنهم من عاد بعد عام أو عامين ومنهم من لجأ إلى القضاء فعاد ولكن بعد سنوات عديدة.

جلال معوض ..

ولعلى أتوقف هنا لأتحدث عن زميل عزيز ورفيق للدرب أحيل إلى المعاش وخرج من المبنى مع من خرجوا فى حكاية مراكز القوى وهو «جلال معوض» – يرحمه الله – ذلك أن إحالة جلال معوض للمعاش حزت فى نفسى كثيرا وآلمتنى أشد الألم، لأننى كنت أعرف مدى تفانى «جلال» فى عمله وحبه له وأدائه على الوجه الأكمل، ولكن بعض ذوى النفوس الضعيفة أوغر صدور بعض المسئولين وقالوا عنه كلاما عجيبا فى التحقيقات التى جرت فى ذلك الحين، أدت إلى أن يحال إلى المعاش، وكان الأمل أن ينقل جلال إلى جهة حكومية أخرى لا أن يحال إلى المعاش – وهو فى سن الأربعين – والحديث عن جلال معوض يطول ويطول، وأقول بالفم المليان إن جلال معوض كان ألعنا جميعا، وكان النجم العالى فى سماء الميكروفون وكان صاحب شعبية جارفة لدى المتلقين، وجلال معوض دخل الإذاعة فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ أى بعد أن التحقنا نحن الجيل السابق له بالإذاعة بحوالى ستة أشهر

وعين «جلال» فى إدارة الأخبار محررا وظل كذلك قرابة عام، عندما أعلنت الإذاعة عن مسابقة داخلية بين العاملين فيها للعمل كمذيعين تقدم «جلال» ونجح باقتدار، وكان ذلك فى نهايات سنة ١٩٥١، ثم جاء حريق القاهرة وأصدر الملك فاروق قراره بإقالة وزارة النحاس باشا، ولما كان جلال معوض من شباب حزب الوفد المعروفين، فإنه فى هوجة ما حدث بعد حريق القاهرة نقل للعمل بوزارة التموين، ولكن ذلك النقل لم يستمر أكثر من شهر أو شهرين عاد بعدهما جلال معوض إلى العمل بالإذاعة، ويذكر فى هذا السياق أن جلال معوض عندما التحق بالإذاعة تأخر قرار تعيينه بعض الوقت، فما كان منه إلا أن جاء إلى الإذاعة ومعه مجموعة من شباب الوفد ودخلوا مكتب على بك خليل، فيما يشبه المظاهرة محتجين على عدم صدور قرار التعيين، ولعل هذا هو الذى أدى إلى نقله إلى وزارة التموين بمجرد إقالة وزارة الوفد، وما علينا من ذلك كله، فقد عاد «جلال» إلى الإذاعة ليواصل عمله كمذيع، والشرارة التى أشعلت جماهيرية جلال معوض تمثلت فى أنه المذيع الذى قرأ بيان الثورة الذى يأمر فيه الملك فاروق بمغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء يوم السادس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢، كانت الإذاعة فى تلك الأيام الأولى للثورة محل الترقب، وكانت الناس جميعا كلهم آذان ملتصقة بالراديو، وقرأ «جلال» البيان بصوته الجهورى مرة ومرة، وكانت الناس تصفق وهم يستمعون إلى المذيع يقرأ البيان وصار اسم جلال معوض على كل لسان، وبعد بضع سنوات وفى سنة ١٩٥٥ تقريبا قدم جلال معوض برنامجه الشهير «أضواء المدينة» وهو البرنامج الذى كان يقدم أساطين الغناء وهو البرنامج الذى كتب شهادة ميلاد عبد الحليم حافظ كفنان يغنى للثورة ويحكى بالنغم واللحن والصوت الجميل خطواتها نحو مستقبل أفضل لـ «مصر» وللأمة العربية، وجاب جلال معوض أنحاء مصر ومدنها ليقدم «أضواء المدينة» كانت المدينة التى يختصها بتقديم البرنامج تتزين وتتجمل وكأنها فى عيد، ولم يكن البرنامج قاصرا على نجوم الغناء، بل كان يصطحب معه نجوم الفن الكبار ليقدموا فقراته على المسرح أمام الجماهير، وكان مدير الإقليم الذى تقام فى عاصمة إقليمه حفلة برنامج «أضواء المدينة» يحشد الآلاف من المواطنين فى الاستاد الرياضى للمدينة، لكى يشاهد البرنامج الآلاف المؤلفة التى كانت تهتف للثورة وقائدها خلال الحفل، وصاحب جلال معوض قطار الرحمة كمذيع فى نهايات سنة ١٩٥٢، وكان القطار يجوب شرق الدلتا ومدن القناة، وكان من بين الفنانين الذين ذهبوا فى رحلة هذا القطار الفنانة ليلى فوزى، ولعل بدايات التعارف بين الفنانة والمذيع بدأت فى تلك الرحلة، كان «جلال» قد تزوج من إحدى زميلاته فى الإذاعة وأنجب منها ابنته الوحيدة، ولكن هذا الزواج لم يستمر إلا عامين أو أكثر قليلا وانتهى بانفصال الزوجين، وبعد ذلك بفترة وجيزة توفى أنور وجدى زوج الفنانة ليلى فوزى، وبعد فترة وجيزة أخرى تم زواج جلال معوض بالفنانة ليلى فوزى، والذى كان زواجا مثاليا استمر حتى وفاة جلال، وكان الزوجان مضرب المثل فى الحب والإخلاص. ولعل ما خفف عن جلال معوض عقب خروجه على المعاش، هو ذلك الحنان والحب الذى غمرته به الراحلة ليلى فوزى، حيث وقفت

إلى جانبه ولم تتخلَّ عنه أبدا، وجاءت سنوات الستينيات وأصبح جلال معوض كبيرا للمذيعين بعد أن ترك حسنى الحديدى الموقع منتدبا للعمل فى رئاسة الجمهورية، ومنصب كبير مذيعى البرنامج العام، كان منصبا مرموقا وكم كان الواحد منا يتوق إليه، خاصة أنه كان منصبا رئيسيا بالإذاعة قبل أن تتكاثر الشبكات والإذاعات الأخرى، مثل صوت العرب وإذاعة الشعب والشرق الأوسط التى كان لكل منها كبير للمذيعين، وظل منصب كبير مذيعى البرنامج العام هو المنصب المرموق، لأن موجات البرنامج العام هى التى تذيع الاحتفالات الكبرى والمؤتمرات الضخمة والتجمعات الحاشدة التى كانت تقام للرئيس جمال عبدالناصر، وكانت باقى الإذاعات تنضم موجاتها إلى موجات البرنامج العام، ومن خلال هذا الموقع أصبح جلال معوض المذيع الذى يصاحب الرئيس فى جولاته ورحلاته إلى الخارج، وهو الذى يترك الميكروفون ليظهر على المسرح ليقدم الرئيس للجماهير فى كلمات مليئة بالحماس، وعرف جلال معوض بأنه المذيع الذى يدخل الرئاسة، فإذا الجميع يحيونه وبالطبع لا يبرز بطاقة الدخول، فشأنه شأن العاملين فى المكان والمعروفين لضباط الحراسة ورجال الرئاسة، وعلى رغم ذلك كله فإن «جلال» – مثلا – لم يرق استثنائيا ولم يكن يتقاضى أجورا إضافية أو إكراميات من الرئاسة، وكان سعيداً بذلك إلى أن توفى عبدالناصر وتولى السادات رئاسة الجمهورية، وكان مما أثار انتباهنا جميعا – نحن زملاءه – أنه لم يعد يقدم مؤتمرات الرئيس الجديد، بل كان ينتدب أحد المذيعين ليقوم بالمهمة، وبحكم صداقتى له وأخوتى الشديدة لشخصه فاتحته فى الموضوع فلم ينبس ببنت شفة وظل صامتا إلى أن حدث ما حدث، وأطيح به خارج المبنى محالا إلى المعاش بعد أحداث الخامس عشر من مايو سنة ١٩٧١، وذهب جلال معوض بعد ذلك ليعمل فى ليبيا بالإعلام الليبى وقابلته قبل السفر وسهرت معه طويلا، وقال لى إنه لا يعرف كيف سيتحمل المعيشة فى ليبيا ويعيش بعيدا عن القاهرة وعن أصدقائه وسهراته، وأذكر أننى قلت له إن عليه أن يتحمل وأن يعتبر نفسه فى رحلة عمل، وقلت له وأنا أضحك اعتبر نفسك مسجونا زى محمد عروق، وضحكنا معا، ولكن «جلال» لم يستطع أن يمكث إلا عدة شهور فى ليبيا عاد بعدها إلى القاهرة، ولما التقينا قال لى «مقدرتش يا فهمى. تصور يا «فهمى» أننى كنت أجد نفسى فى حوالى الساعة التاسعة مساء سجين غرفة الفندق الذى أعيش فيه، وأنا الذى لا أبدأ السهر إلا بعد العاشرة مساء.. أعوذ بالله». وعاد «جلال» ليعيش حياته التى دأب عليها منذ سنوات بعيدة، خاصة أن دائرة معارفه من الفنانين كانت متسعة، ثم عمل بعض الوقت فى الإدارة المركزية للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة الثقافة، وكان يذهب إليها مرة أو مرتين فى الأسبوع إلى أن مرض، ويرحل جلال معوض قبل سنوات بعد أن ملأ سماء الإذاعة بالتغريد والصدح، هذا على مستوى حياة جلال معوض العملية، ولكن اسمحوا لى أن أتحدث عن جلال معوض الصديق الذى كانت تربطنى به صداقة أزعم أنها كانت محسوسة من كل الزملاء ومعروفة بمتانتها فى أنحاء الإذاعة، جلال معوض من أسيوط لذلك ربطت بيننا أواصر الألفة الصعيدية، وكان التقارب والصداقة منذ أن دخل «جلال» إلى مبنى

الإذاعة، وكانت شقته فى شارع سليمان جوهر بـ «الدقى» مكانا نسهر فيه، وأزعم أن عبد الحليم حافظ كان واحدا من الساهرين فى هذه الشقة، وذلك فى بداياته الفنية يوم أن كان يتلمس طريق الشهرة، وأزعم أننى الذى صاحبنى جلال معوض فى سهراتى مع لاعبى الزمالك بنادى الزمالك، الذى كان يقع فى المكان الذى يحتله الآن مسرح البالون، ومن خلال هذه السهرات أصبح «جلال» زملكاويا شديد الزملكة، وأزعم أيضا أن عبد الحليم حافظ كان يصحبنا أيضا فى زياراتنا للنادى، بل كان يدخل معى إلى المباريات وكنت أجلسه فى المدرج الخاص بأعضاء النادى، وكان يبدى حبه للزمالك ولاعبيه، ولكن عندما اشتهر وأصبح عبد الحليم حافظ قال لى مرة أوعى تفتكر أننى زملكاوى دا أنا أهلاوى صميم، قلت له إن الزمالك هو الزمالك سواء كنت من عشاقه أم لم تكن، وعلى فكرة اللى مش مصدقنى يروح يسأل عبد الحليم حافظ فى البساتين، وأعود إلى جلال معوض فأقول إننا حتى فى الإذاعات الخارجية كنا نذهب لتقديمها معا وأذكر فى هذا السياق أننا كنا مسئولين معا عن إذاعة المؤتمر الحاشد الذى أقيم فى المنشية بـ «الإسكندرية» يوم السادس والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٦.

وكان حسنى الحديدى كبير المذيعين فى تلك الأيام ملازما للفراش بسبب مرض ألم به وعندما أعلن الرئيس عبدالناصر تأميمه للقناة، قفزنا أنا و"جلال" عاليا وحضنا بعضنا فرحا وابتهاجا بالقرار. كان يحلو لأصدقائنا أن يعبثوا معنا من خلال سؤال أى شخص فى الطريق، من هو المذيع الأحب إلى قلبه، فكان هذا الشخص يقول على الفور جلال معوض، وأذكر أننى عندما تسلمت العمل رئيسا للإذاعة جاء «جلال» ليهنئنى وقلت له يا جلال لماذا لا تعود إلى الميكروفون وتقدم برنامجك «أضواء المدينة» فابتسم ابتسامة باهتة، وقال يا فهمى الأيام ليست هى الأيام والأجواء غير الأجواء، والمطربون الذين كانوا يتهافتون على الغناء حتى ولو بدون أجر فى الماضى أصبحوا الآن يمدون أرجلهم، ثم إننى لست فى حالة نفسية تتيح لى أن أقدم البرنامج مرة ثانية، واحترمت مشاعره وسادنا الصمت إلى أن هب واقفا منهياً الزيارة الخاطفة. رحم الله جلال معوض وأسكنه فسيح جناته.

❑❑❑